

كتاب البلد والبلد

للطاهر بن طاهر المقدسي

الجزء الاول

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي: شارع بربرسيه القاهرة

تليفون: ٩٣٦٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠

كِتَابُ
الْبَدءِ وَالْتَّأْيِيخِ

—

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

كِتَابُ الْبَدْءِ وَالتَّارِيخِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبه الحول والقوة

[F° 1 v°] تَسْلَقَ الزَّائِعُونَ عَنِ الْحُجَّةِ فِي التَّلْبِيسِ عَلَى الضَّعْفَاءِ
وَتَعْلَقَ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ نَهْجِ الْحَقِّ فِي أَفْسَادِ عَقِيدَةِ الْأَنْبِيَاءِ
مِنْ طَرِيقِ مَبَادِي الْخَلْقِ وَمَبَانِيهِ وَمَا إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَمَالَهُ تَعْلَقًا
بِهِ يَنْبَهُونَ غِرَّةَ الْغَافِلِ وَيُحِيرُونَ فَطْنَةَ الْعَاقِلِ وَذَلِكَ مِنْ
أَنْكِ مَكَايِدِهِمْ لِلدِّينِ وَائْخُنَ لِبُلُوغِهِمْ فِي انْتِقَاضِ الْمَوْحِدِينَ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرَهُ وَيُعْلَى كَلِمَتُهُ وَيُفْلِحَ حُجَّتُهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ¹ وَإِنَّ مِنْ عَظِيمِ الْآفَةِ عَلَى عَوَامِ الْأُمَّةِ
تَصْدِيغُهُمْ لِمَنَاظَرَةٍ مِنْ نَظَرِهِمْ بِمَا تُخَيِّلُ فِي أَوْهَامِهِمْ وَانْتِصَابِ
فِي نَفْسِهِمْ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَاضٍ بِطَرُقِ الْعِلْمِ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِأَوْضَاعِ

¹ Qor., sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكك بآداب الجدل ولا بصيرة بمحقق الكلام ثم
 القأؤهم بأيديهم عند أول صاكة تصك أفهامهم وقارعة
 تفرع أسماعهم ضريعين خاشعين مُستجدين مُستقلين الى ما لاح
 لهم بلا اجالة روية ولا تعمير(?) عن خبيثة وعلى اهل الطرف
 والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر
 المستفيض والإيجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة
 وان كانت ناحلة المعاني نحيفة المعاني ضعيفة الضمائر واهية
 القواعد فقصارى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان
 التي هي وثاق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك امره ونظام
 الألفة بين عباده وقوام معاشهم والنبه على مآدهم الرادع لهم
 عن التباغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل
 والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل
 ومحمود ثواب الآجل فتعرض الى ما هو منهى عنه في حكمة
 العقل التعرض له من الاستهداف بقبح القادح واستدعاء
 مقت الماقت والسعى في افساد ذات البين والاستشراف للفتنة
 وتلبيس الحق على الضعفة وأكثر ما يعترى هذه البليّة طبقة
 اهل اللسان والبيان يظنون ظنونا كاذبة ويسمون بهم قاصرة

الى حيث يحجم هم البارز النقاب عن التطلع الى أدناه ويحقق ما ذكره العُتي في كتابه وان كان دخيلا في صناعته متكلفا ما ليس من بزمته حيث قال في صفة هذه الطبقة قد رضى من الله ومن عباده عوضا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف يذهب إلى ان لطف النظر قد اخرجته عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغشاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهي به أليق في اخوات لهذه كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم واسبل الحق جناحه عليه بقى مبهوتا منقطعا قد خانت معرفته وكذّبه أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضحكة لاناظرين ومثالا سائرا في السامعين بعد أن كان يظن ضحكة لفضل علم او بيان وكفى ذلّا وحزنا ودناءة ونقصا لراض بهذه المنزلة ومعترا بتفريط السفلة مقبلا على لحمة وعظمه مضيقا أيام أدبه وعلمه ومن كانت هذه حاله فحق له النكال والتكبر في العاجل مع ما يبوء به من ناهض الائم وعظيم الإضر في الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب القلائس وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشّحون له
 [٢٥ 2 ٢٥] بلاد واعية مقدّماته مستحليين أفئدة العامة بإطرآء
 مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب
 التي رووها مستأكلة القصّاص عن أحداثٍ في العقل
 مردودة وأعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحنوا صدورهم
 بثُرّات الأباطيل وضيعوا قوسهم بالأسفار والأساطير فهُم إلى
 كلّ ناعقٍ سراع وعن كلّ ذي حقٍّ بطاءً وللتّبع متعرضون
 وعن الواجب مُعرضون الحقّ فيهم مبطل والمُدقّ مُلحد والمخالف
 لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جليّ طارٍ أشهى
 اليهم من الحديث عن جلّ سارٍ ورؤيا مريّة آثر عندهم من
 رواية مروية فهذه الخطّة كانت سبب حرمان العلم
 وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان والتوسيع للطاعن
 في الدين وتسهيل القادحين بالصّخب والشّغب والشّنة وردّ
 العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كنفه او يخفض
 جناحه او يُسفر عن وجهه إلا لتجرّد له بكليته ومتوقّر عليه
 بأنيته^١ معانٍ بالقريحة الثاقبة^٢ والروية الصافية من

به التأيد والتسديد قد شمر ذيله واسهر ليله حليف النصب
ضجيج التنب يأخذ مأخذه متدرجاً ويتلقاه متطرفاً لا
يظلم العلم بالتعسف والافتحام ولا ينجب فيه خبط المشواء في
الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبة
الإلف ونبد المحاكاة واللجاجة واجالة الراعى عن غموض
الحقّ والتأقّي^١ بلطيف المأقّي وتوفيقه النظر حثّه من التمييز بين
المشبه والمتّضح والتفريق بين التمويه والتحقيق والوقوف عند
مبلغ القول فنجد ذلك إصابه^٢ المراد ومصادفه المرتاد
وبالله التوفيق والرشاد ، ولما نظر فلان اطلال الله في طاعته
يَقَّاه وبلغ من العلوم مناه الى احوال هذه الطبقة وما قد
يقسمهم من الهم وتوزّعهم من انواع النحل وتَصَنَّج مذهبهم
اشتاق^٣ نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتمييز الأصوب
من اشاداتهم فأمرنى لازال أمره عالياً وجدّه صاعداً أن أجمع
له كتاباً في هذا الباب منخّطاً عن ذرّة العلو خارجاً عن حدّ
التتصير مهذباً من شوائب التريّد مُصَفّى عن سقاط الغسالات^٤

^١ .التالى Ms.

^٢ .واشتاق Ms.

^٣ .أصابه Ms.

^٤ .الغسالات Ms.

وخرافات المجاز وتزاوير القصص وموضوعات المتهمين من
المحدثين رغبة منه في الخبر الذي طبعه الله عليه وامتناعاً للحق
ومناضلة^١ عن الدين واحتياطاً له وذباً عن بيضة الاسلام
ورداً لكيد منابيه وارغاماً لائف فاشحيه^٢ وتحريزاً عن أن
يُصيب الحنق الموقر يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعناً
فتسارعت الى امثال ما مثل وارسام ما رسم وتتبع صحاح
الأسانيد ومتضمنات التصانيف وجمعت ما وجدت في ذكر مبتداء
الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم السلم
وأخبار الأمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب
والهجم وما روى من امر الخلفاء من لدن قيام الساعة الى
زماننا هذا وهو سنة ثمانية وخمسين وخمسين من هجرة نبينا
محمد صلعم وما حُكي أنه واقع بعد من الكوائن والفتن
والعجائب بين يدي الساعة على نحو ما بُين وفصل في الكتب
المتقدمة [٢٧٢] والاعبار المورخة من الخلق والخلائق واديان
اصناف الأمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

^١ مناصرة Ms.

^٢ فاشحيه Ms.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلام من
 المغازي والفتوح وغير ذلك مما يربك في تفصيل الفصول
 وانما نبهنا على ما أردنا قول الحكماء أول العمل آخر التفكير
 وذلك انا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدْءاً من تصحيح
 الحجاج في ايجاب ابتدائه ولم يصح لنا تثبيت ذلك الا
 باثبات مُبديه سابقاً بخلقه ولا امكن اثباته الا بعد بيان
 طرق التوصل اليه فابتدانا بذكر دُرُو من حدود النظر والجدل
 ثم ايجاب اثبات القديم المبدئ العبد ثم ابتداء الخلق ثم ما
 يتلو ذلك فصلاً فصلاً وباباً باباً حتى اتينا على آخر ما كان
 الغرض والمقصود به ، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من
 العلماء والعظماء والملوك في قديم الزمان وحديثه يرغبون في
 تخليد ذكركم ويتنافسون في ابقاء رسمهم ويحرصون ان
 يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة
 ترغبا في اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر تَوْخِياً منهم لعموم نفع
 الخير وتحرياً لشمل الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانية
 وغاية ما يؤمله العقل وتطمح اليه النفس حتى أن فيهم من

اقتحم المالك أنفاً لذكر شجاعته ومنهم من خرق بمضنون
 النفاس ومنهم من تكلف لطائف النوادر بالآثارة^١ والاستنباط
 ومنهم من رفع مناراً أو بنى بناءً أو انبط ماءً كلٌ يجرى على
 قدر المم والارادات لم يوجد واحد منهم خالياً عن خصلة
 من الخصال وإن عميت إلا بناءً دونها فهذا الذي دعا فلاناً إدام
 الله تمكينه إلى الاقتداء بهم والارتياح إلى الأخذ بأخذهم
 والتأسي بأسوتهم لما خصه الله به من كريم الطبع وشرف
 الهمة وبُعد الفؤاد وبنية الصلاح وحب الخير ثم ما يرجوه من
 حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله أن يبصر به مستبصراً
 أو يُرشد مسترشداً ويهدي ضالاً ويرُدُّ غاوياً وقد وسمتُ هذا
 الكتاب بكتاب البدء والتاريخ وهو مشتمل على اثنين
 وعشرين فصلاً يجمع كل فصل أبواباً واذككاراً من جنس ما
 يدلّ عليه،

الفصل الأول في تثبيت النظر وتهذيب الجدل، وهو يجمع
 القول في معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها
 واقسامها والقول في العقل والمعقول والقول في الحس والمحسوس

^١ - بالاساره Ms.

والقول في درجات المعلومات والقول في الحد والدليل والعلّة
 والمعارضة والقياس والنظر والاجتهاد والقول في الفرق بين
 الدليل والعلّة والقول في الحدود والقول في الاضداد والقول
 في حدث الاعراض والقول على أهل المنود^١ ومبطلي النظر
 والقول في مراتب النظر وحدوده والقول في علامات
 الانقطاع

[٣ ٣ ١٢] الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيد الصانع،
 وهو يجمع الدلائل البرهانية والحجج الاضطرارية والقول
 في جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بأن
 الباري واحد وفرد لا غير والقول بإبطال التشبيه،

الفصل الثالث في صفات الباري واسماؤه، وهو يجمع القول
 في الصفات والقول في الأسماء وما يجوز أن يُوصف به وما
 لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة وإيجاب النبوة، وهو يجمع
 اختلاف الناس فيه وإيجابه بحجة العقل والقول في كيفية
 الوحي والرسالة على ما جاء في الأخبار،

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق ، وهو يجمع ايجاب
 حدث الخلق واييجاب ابتدائه بالدلائل والمحجج وقول
 القدماء في ايجاب الخلق وابتدائه وذكر حكايات اهل
 الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرانية والمجوس وذكر
 مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام في
 المبادئ وذكر ترجيح أصوب المذاهب وذكر ما خُلق في
 العالم العلوي من الروحانيات وأول ما خُلق في العالم
 السفلي من الجسمانيات وسؤال السائل ممّ خُلق الخلق
وفيمّ خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق ولِمَ خُلق ،

الفصل السادس في ذكر التوج والقلم والعرش والكرسى
 وحمة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها
 والقول في الملائكة أمكثفون هم أم محبوبون وانهم افضل
 من صالح وذكر ما جاء في الحجب وما جاء في سدره المنتهى
 وذكر الجنة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس
 في الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف
 الناس في بقاء الجنة [والنار] وفنائها وذكر اختلاف الناس
 في هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[٢٥ ٣ ١٠] والاعراف وغيرها،

الفصل السابع في خلق السماء والأرض ، وهو يجمع صفة السموات وصفة القللك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما في الأقلاك والسموات كما جاء في الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينهما واختلاف الناس في اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبها وكسوفها وانقضاء الكواكب وغير ذلك مما يمرض في السماء وذكر الرياح والسحاب والأنباء والرعد والبرق وغير ذلك مما يحدث في الجو وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشهبان وقوس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم في البحار والمياه والانهار والمد والجزر والجلال واختلافهم فيما تحت الارض وذكر قوله تعالى اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ وذكر ما حكى في التدة قبل خلق الخلق وذكر مدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجن والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم ،

الفصل الثامن في ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف
 الفلاسفة في تأليف الحيوانات واختلاف المنجمين وسائر
 الناس في ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلق آدم
 وذكر قولهم كيف نفخ الروح في آدم وذكر سجود الملائكة
 لآدم وذكر قوله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^١ وذكر دخول
 آدم الجنة وخروجه منها وذكر أخذ الذرية من ظهر آدم
 وذكر اختلاف الناس في آدم وقصته وذكر صورة آدم وخبر
 وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها
 وفي الحواس من القدماء وأهل الكتاب وما جاء في القرآن
 من ذكرها وفي الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع في ذكر الفتن والكواين الى قيام الساعة وما
 ذكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فناء العالم
 وانتهائه وذكر قول مَنْ قَالَ مَنْ الْقَدَمَاءُ بِفَنَاءِ الْعَالَمِ وذكر
 قول اهل الكتاب في هذا الباب وذكر ما جاء في مُدَّةِ الدُّنْيَا
 وكم مضى منها وكم بقي منها وذكر التاريخ من لدن آدم الى
 يومنا هذا على ما وجدناه في كتب اهل الاخبار وذكر ما بقي

^١ Qor., sour. II, v. 29.

من العالم وكم مبدّة [أمة] محمّد صلعم [فيه] بما رواه أهل الأخبار وذكر ما جاء في أشرط الساعة وعلاماتها وذكر الفتن [٤٤٣] والكوائن الى آخر الزمان وخروج التّرك والهدّة في رمضان والهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود وخروج السّفياني وخروج القحطاني وخروج المهدي وفتح قسطنطينيّة وخروج الدّجال ونزول عيسى بن مريم عليه السّلم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وذكر الدخان وخروج ياجوج وماجوج وخروج الحبشة وذكر فقدان الكعبة وذكر الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر ارتفاع القرآن وذكر النار التي تخرج من قر عدن تسوق الناس الى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر صفة الصور واختلاف أهل الكتاب في صفة ملك الموت وذكر ما بين النفختين وذكر اختلافهم في قوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^١ وذكر المطرة التي تُنبت أجساد الموقى وذكر المحشر وذكر اختلاف الناس في كيفية المحشر وذكر الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طي السماء وذكر يوم

^١ Qor., sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل بما هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكي
عن القدماء في خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده
في هذا الباب

الفصل العاشر في ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام ومدة
اعمارهم وقصص أهمهم وإخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،
الفصل الحادي عشر في ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور
أيامهم إلى مبعث نبيّنا محمد صلعم،

الفصل الثاني عشر في ذكر أديان أهل الأرض ونحلهم
ومذاهبهم وآرائهم من أهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر
المُعطلة وذكر أصناف الهند وشرائعهم وملهم وأهوائهم وذكر
أهل الصين وذكر ما حكى من شرائع الترك وذكر شرائع
الخراسانيين وذكر أديان الثنوية وذكر عبدة الاوثان وذكر
مذاهب المجوس وذكر مذاهب الحرمية وذكر شرائع أهل
الجاهلية وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر في ذكر أقسام الأرض ومبلغ أقاليمها،
وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعروف من البحار

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت
وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٤٤٣] وذكر
بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق
والجزيرة والسواد وآذربيجان وأرمينية والاهواز وفارس
وكرمان وسجستان ومكران والجيل وخراسان وما وراء النهر
وذكر المساجد والباق الفاضلة مثل مكة والعراق وذكر
الثغور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الأرض وعجائب
اصناف الناس وذكر ما بلغنا من المدن والقرى ومن بناها
وأُنشأها وذكر ما جاء في خراب البلدان،

الفصل الرابع عشر في أنساب العرب وأيامها المشهورة،

الفصل الخامس عشر في مولد النبي ومنشأه ومبعثه الى
هجرته صلعم،

الفصل السادس عشر في ذكر مقدم رسول الله صلعم الى
المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته،

الفصل السابع عشر في صفة خلق رسول الله صلعم وخلقته
وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدة عمره وذكر أزواجه وأولاده
وقرآبائه وخبر وفاته وذكر معجزاته،

الفصل الثامن عشر في ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر
منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر حُلالهم ومدة أعمارهم وابتداء
إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقب،

الفصل التاسع عشر في اختلاف مقالات أهل الإسلام،
وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبهة
وفرق المعتزلة وفرق المرجئة وفرق الصوفية وفرق أصحاب
الحديث رضهم،

الفصل العشرون في مدة خلافة الصحابة وما جرى فيها من
الفتوح والحوادث إلى زمن بني أمية وهو يجمع خلافة أبي
بكر رضه وما كان في أيامه من الردة والتبني والفتوح وخلافة
عمر رضه وما كان في أيامه من الفتوح وخلافة عثمان وما
كان في أيامه من الفتوح والفتن وخلافة علي بن أبي طالب
رضه وما كان في أيامه من الفتن وذكر الجمل وصقين
والنهروان [١٠٥٣] وخروج الخوارج عليه وذكر الحُكَّامين وخلافة
الحسن بن علي رضهما إلى أن غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادي والعشرون في ذكر ولاية بني أمية على
الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

المختار بن ابي عبيد وهو يجمع قصة زياد وموت المغيرة وعمر بن العاص ووفات الحسن بن علي رضيهما وأخذ معاوية البيعة بزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين بن علي رضيهما وقصة عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرة وموت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر نكتة ابن الزبير الى ان قتله الحجاج في ولاية عبد الملك بن مروان الى آخر أيامهم،

الفصل الثاني والعشرون في عدد خلفاء بني العباس من سنة اثنين وثلثين ومائة الى سنة خمسين وثلثمائة،

فالناظر في هذا الكتاب كالشرف المطلع على العالم مشاهدًا حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدثه الباقي بعد انجلائه ودثوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين قوة وللبتدي رياضة وللسان به سلوة وللتفكر فيه تبصرة وعبرة وهو الى مكارم الاخلاق داع وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل أن ينفعنا ومن نظر فيه بما ضمن وأودع وان يشهدنا عن سنة الغفلة ويوقننا توفيقًا بحسن الإصابة إنه سميع قريب^١

^١ Qur., s. XI, v. 64.

ألفصلُ الأولُ

“ في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ”

أقول وبالله التوفيق ومَن عندهُ العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحق والتمييز بينه وبين ما يضافه لاعتناء بأحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذ قد يعترض من الفكر والتخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الرذلة ما يلتبس معها الحق ويتغلب عندها الظن والشك وليس ما يميز بينها ويدلّ على صحّة الصحيح وبُطلان الباطل منها إلا النظر وبه يعترف السوّال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب العادل فلندكر الآن منه لمّا لهام ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للناظر وقوّة للناظر ثمّ من بعد يستقصيه ان [شاء] الله في

كتاب استسناه على هذا النوع وسمّياه كتاب العلم والتعليم
ومن عند الله العصمة والتوفيق،، أقول أن العلم اعتقاد
الشيء على ما هو به إن كان محسوساً فبالحس وإن كان معقولاً
فبالعقل والحس والعقل أصل ما ترد إليه العلوم كلها فبإقضية
بإثباته ثبت وما قضيا ينتفي هذا إذا كنا سليمين من
الآفات برئين من الماهات وعوارض النقص غسيلين من
عشق عادة الالف والنشور [٢٥٢] لا يكاد يقع حينئذ في
محسوسه ومعقوله اختلاف إلا من مخالف أو من معاند لأنهما
على ضرورة لا يعترض للحس شك في هيئة المحسوس وصورته
ولا يقدر المضطرّ بديهية عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتيقنه
ولا يصدق من يدعى خلافه ولو كان مضطرّاً الى دعواه كما
اضطرّ في حواسه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج الى كسر
قوله والكشف عن عوار كلامه ألا ترى أنّه يستحيل ان
تجد الحاسة النار باردة والشبح حائاً في الظاهر كما يستحيل ان
يكون المعلوم متحركاً ويعلم ساكناً او يكون في نفسه ..
أبيض ويقع العلم بأنّه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم.
كلها رأساً وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد بمن .

أدعاء السمع البصر والسمع والحي ميتة والميت حيًا وهذا محال
لأن العلم إذا كان إدراك الشيء على ما هو به من حدٍ وحقه
ثم لم يدرك ذاته كما هو لم يكن معلومًا وكذلك الحس إذا لم
يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوسًا وهذا لا خلاف فيه
بين التمييز العاقلين قاطبة إلا رجلين اثنين أحدهما العاقل
الذي لا نظر له لاغفاله آخذًا له استعماله ومتى لاح له
الحق اتبعه وانقطع خلافه لأن قوله ذاك عن حدس وظن
وسماع وتقليد فإذا قرع سمعه ما يشهد بتصديقه قلبه مال
إليه وقبله والثاني الجاحد المعاند الذي يسميه القدماء
السوفسطائي وسنذكر فساد مذهبهم في موضعه إن شاء الله
تعالى ، وضد العلم الجبل ومعناه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو
به وليس كل من لا يعلم جاهلًا بالاطلاق ولكن الجاهل في
الحقيقة التارك طلب حد الشيء وحقه المعتقد له على غير
ما هو به ولولا ذلك لما استحق الثلاثة والمذمة على
جهله،،

القول في كمية العلوم ومراتبها ، أقول أن اسم العلم قد يُطلق
في الجملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة

والمعرفة وكلّ ما يحصل منه ادراك شئ ظاهراً أو باطناً
ببديهة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالاستدلال
والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأنّ هذه الخصال
كلّها آلات ادراك العلم وطُرُق التوصل اليه ومما يصاب من
هذه الجهة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواس [أ] لا
ترى أنّ الإنسان العاقل المميّز مضطّر إلى شواهد عقله وحسّه
غير مضطّر إلى استدلاله وبحسّه أو لا ترى أنّ لاسيّل إلى
البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أصيب بحسّه فاقول
العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديهة مثلاً بلّ بقوة البديهة
وآخره اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشكّ والشبهة عنه
وإنّما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنّه قد يخطر النفس
والهوى والطبع والمادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ
من آخر العلم اليقين الذي يُحيط بالاشياء على وجهها ويدركها
بكنهها والمعرفة ادراك أيّنية الشئ وذاته فمن قائل أنّها
ضرورة وآخراتها [٣٥٣] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم أنّ
العلم الإحاطة بذات الشئ عينه وحده والمعرفة ادراك ذاته.

وثباته وان لم يدرك حذّه وحقيقته فالعلم اعمّ وابلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلوماً ألا ترى أنّ الموحدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلا بالاثبات لأنّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيّان، والوهم اعتقاد صورة شئ محسوس أو مظهر وان كان منفيّاً وجوده في الظاهر لأنّ قوّة الوهم في انبساطها تضعف فلذلك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلك العين اذا امتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرءى عنها رآته على خلاف ما هو به من الصغر والعظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها فلا يحسّها الوهم ولا يتصوّر في النفس والفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والظنة قريبة المعنى من الذهن وأنما احتجنا الى هذا لأنّ كثيراً من الناس يولعون بالبحث عن هذه الأسمى ويستفرون بينها واما الأسباب التي يتوصّل بها الى ما خفى من العلم فالفكرة وهي البحث عن علّة الشئ وحذّه الرأى والرويّة والاستنباط انتزاع ما في طيّ المعقول والمحسوس والاستدلال والاجتهاد وقد عدّ قومٌ ميل العادة والطبع ألا ما يميلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أصول العلم وطُرقها ومُصولها
 راجع الى ثلاثة أصناف الى المقول بديهة والمحسوس ضرورة
 لأنّ ما يدرك يههما يدرك بلا واسطة ومقدمات والثالث
 المستدلّ عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيها
 الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيز الحاسة والبديهة
 وتفاوت قُوى المستدّئين والناظرين وتفاوت أرائهم وعقولهم
 وهذا يكثر حدّاً وفيه صُنفت الكتب ودوّنت البدواوين من
 على الحكمة والملة مذ قامت الدنيا على ساقها ولا يزال
 كذلك الى انقضاء الدهور وتخرّم الأيام وكثير من الناس
 آبوا أن يسمّوا علم البديهة والحسّ علماً على الحقيقة لاشتراك
 الناس كلّهم فيه واستواء درجاتهم في ذلك ثم هو غير مستفاد
 ولا مكتسب بلّ أوجه الطبع العزيزة وقوة التمييز والحكمة ،

القول في العقل والمتنول ، أقول أنّ العقل قوّة إلهيّة مميّزة بين
 الحقّ والباطل والحسن والقبيح وأمّ العلوم وباعث الخطرات
 الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنّما سمّي عقلاً لأنّه عقّال
 للزّ عن التخطّي إلى ما خُطر عليه وقد أكثرت الفلاسفة
 الاختلاف في ذكره ووصفه قال ارسطاطاليس في كتاب

البرهان أن العقل هو القوة التي بها يقدر الإنسان على الفكرة والتمييز وبها يلتقط المقدمات من الأشياء الجزئية يؤلف منها القياسات وقال في كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل في الإنسان بطريق الاعتياد من أنواع الفضائل حتى يصير له ذلك خلقاً وملكة متمكنة في الناس وقال في كتاب النفس بخلاف هذا وقسمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهولاني والعقل الفعال والعقل المستفاد وفسره لاسكندر^١ فقال ان العقل الهولاني هو ما يوجد في شخص الإنسان من امكان التهيؤ لتأثير العقل الفعال وان العقل المستفاد [٢٦٧] هو المصور والعقل الهولاني بمنزلة العنصر وان العقل الفعال هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أن العقل هو النفس وبعضهم يقول هو الباري جلّ جلاله مع تخاليف كثير منهم في هذا الباب ومما توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود والأدب مستفاد وإنما سماه بعضهم باسم افعاله فلا يضايقه بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألا ترى انه يقال اكتب المتصنين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتائج

^١ الاسكندر Ms.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجل قطعة من عقله فكلّ هذا على التمثيل والاستمارة ولا يختلف قول القدماء في ان العقل الهولاني اصفى جوهر النفس وحسّه فوق حسّ النفس ورتبته على رتب الجواهر ودون رتبة الباري جلّ جلاله وهو اقرب الأشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلا ما هو مركّب في الإنسان خاصّة دون سائر الحيوان في العالم السفليّ فاما ما يحكي عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يردّه العقل او كتاب الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجة الطبع فيما يوجب ويُسلبه أولى من حجة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق الى ما وافقه ويلائمه وانتقاضه عما يعافه وينافره وإنّ الله عزّ وجلّ خلقه اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيئاً عبثاً او لغير حكمة وفائدة والعقل مستحسن وهو يستحسن الشئ ثمّ يستقبّحه ويستصويه ثمّ يستخطئه والطبع لا يستحلي مُراً ولا يستمرّ حاراً ولا يمجّد الشئ عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع لا تعرف إلا ما يحسّ وتُبشر وقد تغيّرها العادات والموارض عن أصل جبلتها فتُميل في بعض الأوقات الى ما كانت تنفر عنه وينفر عما كانت تميل إليه وليس من قوتها التمييز بين

الحسن والقبیح بالاستدلال كما فی قوّة العقل وقد ضحت
طباع البهائم وسلّت أخلاطها ثمّ لم یحسن خطابها وامتناع الطبع
عن استحسان الحسن واستقباح القبیح غیر محلی له من
الحکمة ولا موجب العبث فی خلقه كما أنّ الموات لا تحسّ
بشئ من الأعراض ثمّ لم یخل من الحکمة بل دلّته وما
تحوّیه من المنافع والمضارّ الذی خصّ به جنسه فائدته
وحکمته فدلّنا ان موجب العقل هو المولّ علیه فی الاعتبار
والاستدلال لإسقاط التکلیف ووضع الامتحان علی البهائم الّتی
سلّت طباعها وأخلاطها فان قیل بنمّ عرفتم العقل قیل ینفّس
العقل لأنّه الأصل والبديهة وأتمّ علوم الاستدلال كما عرفنا
الحسّ نفس الحسّ لأنّه الطبع ولو کُنّا عرفنا العقل بعقل
لأفضی الأمر إلى ما لا نهاية له ولما کان العقل أصل
العلوم ورأسه فان قیل فیهم یفرقون بین دلالة العقل ودلالة
الهوى والمادة قیل بالردّ إلى الأصل لأنّ الفرع یشاکل
الأصل ولو لم یشاکله لم یکن فرعاً له ومن الدلیل علی
وجوب حجة الطبع تعظیم الناس کأهمّ العقل وتبجیلهم إیّاه
وتفضیلهم مراتب العقلاء ورفعهم أقدارهم واستنماجتهم إلى

أراهم واعتمادهم على اشارتهم وتمتيعهم درجاتهم والاستخفاف بمن
 ذلّ عقله وبدا سخره ولم يفعلوا [٣٧٣] ذلك بمن استقامت
 طباعه وكملت أخلاطه فعلمنا انه معنى غير معنى الطبع وهو
 العقل*

القول فى الحسّ والمحسوس .، أقول أنّ الحواسّ طُرُق وآلات
 مُهيّأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه فإذا باشرت
 الحاسة المحسوس أثرت فيه بقدر قبوله وقبلت منه بقدر تأثيره
 فنبرت به النفس وأدته الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعت
 أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة وبحث عنه العقل
 وميزه فما حَقَّقه صار يقيناً وما نفاه صار باطلاً والحواسّ الخمس
 أولاً يوجد شئ لا يمكن وجوده بشئ من الحواسّ فيحتاج الى
 حاسة سادسة ويزعم قوم أنّها أربع ويجعلون الذوق ضرباً من
 اللمس وبعض يقول ستّ ويعتدون فعل القلب حاسة سادسة
 وهذا سهل واسع بعد أن افترّوا بصحة وجود فعل الحواسّ لأن
 من الناس مَنْ ينكر حقيقة فعلها تتغير أحوالها ويحتاج برؤية من
 يرى وجهه فى السيف طويلاً وقامتة فى الماء الذى لا يكون
 مساحة عمقه كمساحة قامتة منكسة ويرى الصغير كبيراً والكبير

صغيراً والواقف سائراً وهذا من رأى المعاندين والموهين إذ لا توجد هذه التغيرات فى غير حاسة البصر وذلك للعلل العارضة من بُد. المسافة وتكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفية والكمية لأن الحاسة لا تضبط الهيئة إذا بُدت فاما الآلية فلا يقع فيها غلط ما لم يفرط بُدها فلا تحصر شخصها الحاسة وأما سائر الحواس التى فعلها بالمضامة والمباشرة فلا يقع فيها اختلاف ما صحت وسلمت وأهون ما يقابل به صاحب الرأى انكار الحواس نفسها عروضاً لانكار فعل الحواس وما اعلم انا عقلاً^١ يشتغل برّد هذا الرأى وإنكاره ولظهور فساده وفُحش خطابهِ* .

القول فى درجات العلوم* أقول ان الأشياء كلها فى العقول على ثلاثة أضرب واجبٌ وسالبٌ وممكنٌ فالواجب فى العقل بنفس العقل واستدلّاه كعلمنا بأنّ البناء يقتضى بانيًا والكتابة يقتضى كاتبًا ولا بدّ لكلّ صنعة من صانع وان الواحد والواحد اثنان وان الشيخ كان شيئاً والصغير كان رضيعاً وما أشبه ذلك والسالب المتنع المستحيل فى العقل بنفس العقل واستدلّاه

* المعلومات Ms.

١ .تعقل Ms.

وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإن
هذا لا يوجب العقل ولا يتصوره الوهم ولا يستقر عليه الطبع
والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن
القرون السالفة والبلدان الثائرة وما يذكر أنه سيكون بعد
فإن ذلك مما يجوز في العقل أنه كذلك ويجوز أنه ليس
كذلك لأنه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك ألا
ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز
والامكان فلما تكافأت الأدلة به قصر على حدّ الوقوف
فلا شيء إلا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو
محسوس*

في الحدّ والدليل [٣٧٣] والمعارضة والقياس والاجتهاد والنظر
وغير ذلك، أقول إن الحدّ ما دلّ على عين الشيء وغرضه
باحاطة وإيجاز كحدود الدار والأرضين التي تميز حصة كل
مالك من حصة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة في
الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك
الإنسان حي ميت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شيء أو نقص
انتقض لأن الاعتبار صحة الحدود في الأطراد بالعكس

واحد وكل ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه
وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أئمة والكتاب
دليل والخبر دليل والاثار دليل والحركة والصواب دليل وما
أشبه ذلك هذا الذى اختاره فى الدليل الذى يستدل أهل
النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدل نفسه
فناقضه مخالفه بآئه لو كان كذلك لجاز للمدعى إذا طُوب
بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن
تأمل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة
كالشرب والسير وان يكون غين الدلالة والمدلول عليه
كالصرع والقتيل يقول المدعى أنا الدليل إذا اراد فاعل
الدلالة غير خطأ وإنما يستحيل إذا أراد به عين الدلالة
على ما يطالب به وقد يكون عينه دليلاً على الصانع اذا سُئل
لأنه ما من مدلول عليه إلا وهو دليل على شئ آخر وإن لم
يكن دليلاً على نفسه وأقول ان العلة السبب الموجب وهى
ضربان عقلية وشرعية فالعقلية الموجبة بذاتها غير سابقة
لمعولاتها كحركة المتحرك وسكون الساكن فالشرعية التى
تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدماً لها معولاً بعلة قبلها

والقلب فتى لم ينعكس لم يستقيم هذا الذى اختاره فى الحدود وإن كان للناس فيه أقوال ومذاهب لأن من رأى بعضهم أن حدّ الشئ وضقه له فى ذاته كالعلمة وعند بعضهم حدّ الشئ من ذاته واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبين كما قلنا وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صح] الطرد وهذا لا يستقيم إلا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عليها الموجبة كقول من زعم مثلاً أن حدّ الصلاة آتيا طاعة ثم يقول وليس كل طاعة صلاة فالأولى فى هذا أن نسميه صفة لا حدّاً لأنّه لو كان حدّاً لسلم فى الطرفين كما قال إن حدّ الإنسان أن يكون حياً ميتاً ناطقاً فكلّ حى ميت ناطق إنسان وكلّ إنسان حى ميت ناطق وقد قيل الحدّ جامع لما يفرقه التفضيل وأقول أن الدليل ما دلّ على المطلوب ونبه على المقصود كأنما ما كان من جميع المعانى التى تتوصل بها الى المدلول عليه وقد يدلّ الدليل على فساد الشئ كما يدل على صحته فبإذا دلّ على صحة شئ فهو دليل على فساد شئ والدليل على فساد الشئ فهو دليل على صحة ضده ويدلّ الدلائل الكثيرة المختلفة على العین الواحدة كالطريق المؤدية الى مكان

وشرط صحة العلة جريانها في معلولها فحتى ما تقاغت عن
الاطراد تهافت ذلك كوجود عين او حكم لعل من اللل ثم
وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلة او زوال
العين [٢٨٣] والحكم مع بقاء العلة وصحة العلة كصحة
الحدة سواء مع أن كثيراً من الناس يستون العلة الحدة
وليس يعيد لاتفاق المعنى وقيل ان العلة ذات وصف
واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصح الحكم
بها إلا باجتماع أوصافها كقولنا في الإنسان أنه حتى ميت
ناطق لو اخترت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون
حداً للإنسان وعلة له وأقول ان المعارضة تصحح ما رام
خصمك افساده من مذهبك بمثل مذهبه ومعنى المعارضة
والمقابلة على السواء والمائلة فإذا وقعت على خلاف ما
يذهب الخصم اليه فهي ساقطة فاسدة وقد أنكر قوم هذا
الباب وابطلوه وزعموا انه خارج عن حدّ الجواب والسؤال
فأجابهم مخالفوهم بأنه ضرب من السؤال او زيادة فيه
واستدلوا بأن المعارض مجيب او مرئي مناقضه ولوجاز ان
تمسك للمعارض له عن جواب ما عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب^١ ما سُئل إذا السائل مستجير والمعارض مجير
ثم نزل المعارضة من صحها أربع منازل يصح منها ثلاث^٢ ويبطل
واحدة وهي معارضة السؤال بالسؤال كسائل رجلاً ما قولك
في كذا فيَكُرُّ عليه وما قولك انت في كذا فهذا لأنه
ليس فيه شيء من جواب ما سُئل والثانية معارضة الدعوى
بالدعوى كقائل ان العالم قديم فيقول له الخصم ما الفرق
بينك وبين من يدعى انه مُحدث فيلزم مدعى القدم اقامة
البرهان والتفريق بين المدعين ومتى بطل قول من ادعى
انه مُحدث صحت له دعواه في القدم لأن في صحة الشيء
فساد غيره والثالثة معارضة العلة بالعلة كقول الموحّد
للمجسم إذا قلت أن الباري جسم لانك لا تقبل فاعلاً إلا
جسماً فليَمَ لم تقبل مركب مؤلف لانك لم تَرِ إلا جسماً
مركباً مؤلفاً والرابعة معارضة الدليل بالدليل فهو أن يقال
إذا كان دليلك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم
ان الدليل شيء آخر غير ذلك فالجواب أنك لا تقابل علة
بعلة ومطالبتك بالفرق مطالبة بتصحيح الدليل واقول ان

^١ Ms. répété deux fois.

^٢ Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشئ الى نظيره بالعلّة المشتركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما علم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق

[وافر]

ونحن الى زفوف مغوراتٍ نقيس على الحصى قطعاً يقينا

وهذه الأقوال قريبة المعاني كأنّها في مشكاة واحدة وقد أجاز بعض القائسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذي يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو أكثرها وتسمّى القياس البرهاني لدخوله في حيز علوم الإمكان وقد انكر بعض الناس القياس فلزمه ان ينكر ما فات حواسه وبدائنه ويُقرّ بصحة كلّ ما جاء من حق وباطل وقضيّة العقول توجب ان تكون كلّ مشتبهين واحداً من حيث اشتبهها وإلا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارة ونار باردة لاشتراك النيران في طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لهما في القضية وأقول ان الاجتهاد هو امان الفكرة والاستقصاء [٢٨٣] في البحث عن وجه الحق

الذى لا يصاب بالبديهة ولا بالحس لاكن بالطب
والاستدلال وهو مقدمة القياس وكان القياس القضاء بالشئ
على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من اصح
وجوهه والتحرز من وقوع الغلط فيه لأن القياس من غير
اجتهاد كالقول بالظن من غير استدلال وأقول ان النظر فعل
الناظر بقلبه ليرى ما خفى عليه فكما أن العين قد تقع على
الشئ ولا يتبينه إلا بعد النظر والتفكر فكذلك القلب
قد تعرض له الخطرة فلا يشبها إلا بعد النظر والتفكر والمناظرة
المفاعلة منه وقد تكون من تشبيه النظير بالنظير فيكون معنا
القياس المحض ،

القول في الفرق بين الدليل والعلّة ، أقول ان الدليل ما
هدى الى الشئ وأشار إليه والعلّة ما اوجبه واوجده ويوصل
إلى الشئ بدليله لا بعلمته لأن علته ايضاً مما يوصل إليها وتعلم
بدليل لأن الذى يدل على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول
عينه ومتى زالت العلّة زالت العين وتختلف الأدلة على العين
الواحدة ولا تختلف العلّة ومحال وجود ما يفوت الحواس والبداهة
بغير دليل وغير محال وجود ما لا علّة له ،

القول في الدليل ، أقول انّ من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجه أو وجوه كثيرة كرويتنا بعض الجسم والبعض يدلّ على الكلّ متصلاً كان أو منفصلاً ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدلّ على المصوت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بمجهة من جهاته وإن خالفه في أكثرها فأمّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق وإذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلاً إلّا ان لا شئ في الغائب إلّا جسم أو عرض لأنّه لا يرى في الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما في العالم الأعلى لأنّ ما في العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلاً عليه فإن زعم زاعم أنّه كذلك لا شئ في جسم أو عرض أو حدث غير أنّه مخالف لما في الشاهد طوب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلّق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأن لا شئ في الغائب إلّا وهو حادث ولا في الشاهد إلّا غير حادث *

القول في الحدود ، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌ يُطلق على الجوهر
والعرض وما يدرك بالبدية والحاسة والاستدلال من جميع
ما مضى وانتضى وما هو ثابت في الحال وما سيكون فيما
بعد. وحده الشئ ما يصح أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو
يخبر عنه فاذا كان هذا حده الشئ فقد ثبت أن المدوم شئ
لأنه يصح الخبر عنه وأنكر قوم أن يكون المدوم شيئاً
وجعلوا حده الشئ أن يكون مثبتاً موجوداً لأن الموجود والمثبت
يتمان الأشياء كما يمت الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان
حده الشئ المعلوم لوجد له [٢٩ ٢] نقيض وهو المجهول وزعم
بعضهم أن حده الشئ المُثبت لا غير ولا شئ منفي والمدوم
غير مُثبت واحتج بعضهم بكتاب الله عز وجل أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً فنفي ان
يكون الانسان قبل ان يخلق شيئاً وبقوله تعالى هَلْ أَتَى
عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً^١
والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شيئاً غير المثبت الموجود

^١ Qor., s. XIX, v. 68. Ms. x (sic).

^٢ Qor., ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مذكورة قامت
الدنيا باطلاً هذراً فإن قيل أن ذلك قد خرج مرة الى الوجود
قيل وما يدريك ان ما هو كائن بعد غير خارج الى الوجود
وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شيء قيل فما خرج عن الوجود
فلا شيء فإن قيل محال تقدم الاسم على المسمى قيل ذلك
في الخواص فاما العام فغير ممتنع لأننا نقول سيكون في
الدنيا أمور واسباب وحيوان فتقدم اسماءها قبل وجود شخصها
وقد كان ابو الهذيل يغايظهم بقوله في الممدوم انه جسم
خيّاط على رأسه قلنسوة يزرقص ونقيض الموجود الممدوم
ونقيض المثبت المنفى وليس نقيض الشيء لا شيء لأن
المنفى والممدوم شيان قد نفى وعُدم ولا شيء لا يوصف
بالعدم والنفي فإن قيل فجسم هو أم عرض أم حركة أم
سكون قيل هو شيء معلوم مقدور عليه لا غير وحدّ الجسم أن
يكون طويلاً عريضاً عميقاً مؤلفاً مركباً من اجزاء واباض شاغلاً
للمكان حاملاً للاعراض ولا يوجد بته خالياً منها او من
بعضها فان انكر منكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات
جسماً سلّم له وسُهل في التسمية بما شاء وطُوب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد بهذه الصفات وكان هشام بن الحكم يزعم في حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم في اللغة ما غلظ وكثف وكذلك يقولون للجثة العظيمة جسيمة وإنّما أطلق هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غُيّر اسمه لم يتغيّر معناه وإنّما يتبين الفرق عند تفصيل الأسماء والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلّا في جسم فإن أنكره منكرٌ قوبل بما يقابل به منكر الجسم وطول بالفرق بينه وبين غيره ثم كَلِم على ما أشار اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض في العالم وأن الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرقة وحدّ الجوهر حدّ بينه لانه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والعرض والجزء لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر في الظنّ الذي هو أضعف أجزاء العلوم ودخل في خبر الامتناع وقد يسمّى الجوهر الطينة والمادّة والهيولى والجزء والعنصر والاسطقس واختلف الناس في الجزء الذي لا يتجزّأ من الأجسام فقال كثيرٌ من الناس انه لا يزال مجزّأ حتّى يصير في الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزأ ولا يكون له ثلث ولا رُبْع ولا نصف
قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناءٍ ولما كان شيءٌ
أكبر من شيءٍ ولا أصغر منه ولما جاز لقائل أن يقول أن
الله قادر على أن يرفع من الجسم كل اجتماع خلقه فيه
فأقبل الاجتماع بين جزئين قال ابن بشار النظام وهشام بن
الحكم انه يتجزأ تجزأً بلا نهاية ولم يتهياً بالفعل
فأنه موهوم واحتجوا بأنه كما لا يجوز أن يخلق الله
شيئاً لا شيءٌ أكبر منه فكذلك لا يجوز [٢٩٧] ان
يخلق شيئاً لا شيءٌ أصغر منه وقالوا لو كان قول من قال
أن الجزء لا يتجزأ صحيحاً كان في نفسه لا طول له ولا
عرض فإذا حدث له ثانياً حدث لهما طول فلن يعمدوا
الطول ان يكون لأحدهما دون الآخر أو لهما معاً فلما ثبت أنه
لهما^١ علم أنه يتجزأ وقال الحسين النجار الجزء يتجزأ حتى يعود
إلى جزء لا يقبله الوهم فيبطل حينئذٍ وقال قوم لا ندري
كيف القول فيه واختلفوا في جواز الرؤية عليه وحلول
الأعراض فيه من اللون والحركة والسكون وغير ذلك فأجازه

^١ Ms. ajoute و.

قوم ونفاه آخرون والقدماء مختلفون في هذا الفصل على خلاف قول أهل الاسلام فيزعم بعضهم أنه يرى قبل الاسطقات الاربعة اسطقات آخر صاغر الأجزاء غير متجزئة في غاية الصغر منها تركيب الاسطقات التي منها تركيب العالم وأما ارسطاطاليس يقول أما التجزئة بالقوة فإنها بلا نهاية وأما بالفعل فلها نهاية وقال بعضهم لا يتجزأ لا يقبل الانفصال مع اختلاف كثير بينهم ، وحد الزمان حركة الفلك ومدى ما بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افلاطن أنه يرى الزمان كوناً في الوهم وحكى ارسطاطاليس في كتاب السماع الطبيعي أن جميع القدماء كانوا يقولون بسرمدية الزمان ألا رجلاً واحداً يعني افلاطن وروى عنه افلوطرخس^١ أنه قال جوهر الزمان هو حركة السماء هذا وفاق قول المسلمين وبعضهم يقول أن الزمان ليس بشئ مع اختلاف كثير بينهم وإثنا ذكر ما ذكر من مذاهبهم لتطمين نفس الناظر الى خلاف القائلين بالعقل والتمييز وليستفيد يقيناً بما

^١ Ms. فانه .

^٢ . افلوطوخس . Ms.

يُضَدُّهُ مِنْ وَفَاقِ قَوْلِهِمْ لِأَنَّ فِي الْإِجْمَاعِ قُوَّةً وَهُوَ مِنْ أَوْكَدِ
 أَسْبَابِ الْإِسْتِظْهَارِ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّ الْمَكَانَ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْجِسْمُ
 أَوْ أَحَاطَ بِهِ أَوْ حَلَّهَ الْعَرَضُ وَهَذَا أَرَادَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسٌ حَيْثُ
 قَالَ الْمَكَانَ نَهَايَةَ الْمَحْتَوَى الَّذِي يَمَاسُ مَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ
 وَاخْتَلَفُوا فِي الْخَلَاءِ وَالْفَضَاءِ فَقَالَ قَوْمُ الْعَالَمِ لَا خَلَاءَ فِيهِ
 وَإِنَّ الْهَوَاءَ جِسْمٌ مُنْتَشِرٌ بِسِطٍ وَيَتَحَنُّ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ عَلَى
 هَيْئَةِ الرُّطَلِ فِي أَسْفَلِهَا نَقَبٌ فَإِذَا شُدَّ أَعْلَاهَا لَمْ يَخْرُجِ الْمَاءُ
 مِنْ أَسْفَلِهَا وَإِذَا فَتِحَ سَالُ فَقُلَّ أَنَّ الْمَاءَ دَفَعَهُ دَافِعٌ وَهُوَ الْهَوَاءُ
 الدَّخِلُ فِي الْكَوْزِ وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَخْلُو الْأَجْسَامُ مِنْ خَلَاءٍ
 وَهُوَ الْفُرْجُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ وَاسْتَنْدَلُوا بِالْمَاءِ الَّذِي يُصَبُّ عَلَى
 الْأَرْضِ فَيَغُوصُ فِيهَا وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَ الْفَضَاءِ وَالْخَلَاءِ فَقَالُوا
 الْخَلَاءُ هُوَ الْفَرَاغُ مِنَ الْجِسْمِ وَالْفَضَاءُ هُوَ الْمَحْتَوَى عَلَى الْخَلَاءِ
 بِلاَ نَهَايَةٍ وَيَزْعَمُ قَوْمٌ أَنَّ الْخَلَاءَ وَالْفَضَاءَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَيَقُولُ
 آخَرُونَ إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَحَدَّ الْمُتَغَايِرِينَ مَا جَازَ وَجُودَ أَحَدِهِمَا
 مَعَ عَدَمِ الْآخَرِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ حَدَّثَهُمَا مَا اخْتَلَفَ أَوْصَافُهُمَا وَحَدَّ

• الاستظهار Ms.

• قِنَاءة Ms.

الضدّين ما لا يجوز وجود أحدهما إلّا مع عدم الآخر وحدّ الموجود ما ثبت علماً أو حسّاً أو وهماً وهو معنى الشئ وحدّ الاسم ما دلّ على المسمّى بالتمييز من جنسه والصفة كالاسم في بعض الأحوال إلّا أنّ خاصيّة حدّها الاخبار عمّا في الشئ كالعلم في العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجملون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الإرادة ما يضطره الانسان [٢٠ 10 ٢٠] في قلبه من فعل أو قول أو حركة وحدّ القول ما يُبدى القائل بلسانه وقد يقال للإشارة قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما أبدى بلفظه فزعم ابن كلاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامعُ القائل ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال وانتقال وهى على ضروب فمنها الحركة الذاتية والمكانية وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشئ وحدّ الجنس ما يجمع أشياء مختلفة الصُور كالحَيوان والنبات وقد قيل الجنس ما استوعب الأنواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والنوع تحت الجنس. وهذا المقدار من هذا الباب لإغناء
بأحدٍ عن مطالعته فإنه كالمادة للنظر والآلة للجدل ،

القول في الأضداد، أقول ان قول من يزعم ان الشئ
لا يُعرف إلا بضده محالٌ لأن معرفة الشئ بمحدوده ودلائله
ببل شكله وتظيره أسكن^١ من معرفته بضده ونديده لأن
الشئ يدل على جنسه ونوعه ما لا يدل على ضده ولكن
الضدين لا يجتمعان وعند صحة الشئ فساد ضده ولا يقع
التضاد إلا بين الموجودات فبطل قول القائل أن ضد الجسم
لا جسم وضد العرض لا عرض وضد الزمان لا زمان وضد
المكان لا مكان وضد الشئ لا شئ لأن الأضداد أشياء متنافية
وقول القائل لا جسم ولا عرض لا شئ في الحقيقة فكيف
يُضاد الشئ بلا شئ ولكن الأجسام والأعراض أشياء مضادة
كالأسود ضد الأبيض والقديم ضد المحدث لأن القديم الموجود
لا إلى أول والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن^٢ ،

القول في حدث الأعراض ، أقول أن معرفة حدث الأعراض

١ Ms. اسكن.

٢ Ms. لم يمكن.

من أوائل العلوم القائمة في النفس البديهة وما المنكر لها إلا
بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لمعاينتنا تعاقب الألوان المتضادة
على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد
وكذلك الروائح المتضادة^١ كالكريهة والطيبة وسائر الحالات
التي لا يخلو الجواهر منها كالحر والبرد والرطوبة واليبوسة
واللين والحشونة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والافتراق والطعوم الملاذ والمكاهره وما نجد من أنفسنا من
الحب والبغض والإرادة والكراهية والشوق والملازمة والجز
والشجاعة والقوة والضعف والشبهة والمشب والنوم واليقظة
والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والعمود والقرب والبعد
والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض
التي تطرأ على الأجسام وبعد أن لم يكن وتزول^٢ بعد أن
كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه
لو تكلفه متكلف لأنه الدليل على الحدث والكون وقليل
الشيء يدل على كثيره فإن زعم زاعم أن هذه الأعراض

١ المتضاده Ms.

٢ نزول Ms.

جسام طولٍ بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدَّ من
 لتفصيل بينهما ثمَّ من الدليل على أنَّ العَرَض غير الجسم جواز
 لاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالْبُسْرَة الخضراء مثلاً
 تراها تصفرَّ [١٠ ١٠] فتبطل خضرتها ثمَّ تحمرَّ بعد صُفْرَتها وعينها
 قائمة وكالزأضي ينضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف
 والشابُّ يشيب والحيُّ يموت فلما لم يحز أن يقال لمن قد شاب
 أنه ليس بذاك الشابِّ ولن مات أنه ليس بذاك الحيِّ مع
 ورود حال وارتفاع حال أخرى عقل أنَّ العَرَض ليس بجسم
 ولا بعض الجسم لأنَّه لو كان كذلك لتغير الجسم كما
 تغير الأعراض الحادثة فإذا ثبت أنَّ الأعراض غير الأجسام
 وجب أن نَظَرُ أحداثة هي أم قديمة فلما رأيناها كأنَّه بعد أن
 لم تكن وزائلة بعد أن كانت دلَّنا ذلك على حدوثها
 وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة
 بعد أن كانت متفرقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها
 أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يَجُزْ وجودها
 متفرقة ما دامت انفسها قائمة فعلنا أنَّها مجتمعة باجتماع ثمَّ
 نظرنا أذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلَّنا أنَّه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهاية فلما
 بطل ما قلنا علمنا أنه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
 القول في الحركة والسكون فإن قيل أن الأعراض كانت
 كامنة في الجسم ثم ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
 مع استحالة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
 كامنة في الجسم فيكون الجسم في حال واحدة ووقت واحد
 ساكنًا متحركًا ومجتمعًا متفرقًا فإن التجأوا الى مذهب
 من يقول بالهولي وأنه كان جوهرًا قديمًا لم يزل خاليًا من
 الأعراض ثم حدث فيه الأعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
 قيل لا يخلو حدوث الأعراض فيه من أن يكون كانت كامنة
 فظهرت او كانت في جوهر آخر فانتقلت او لم تكن بنة
 فأحدثت فلما استحال كون الأعراض في الجوهر الذي
 يزعمونه خاليًا من الأعراض ان يكون مثل أجسام العالم أو
 دونها أو أعظم منها او يكون جزءًا لا يتجزأ أو كيف ما كان
 فإن الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
 الحوادث فحادثٌ، واعلم أن أحكام هذا الفصل من الفرض
 الواجب والحق اللازم وخاصة معرفة حدث الأعراض وان

الجوهر لا ينفك منها لأنها الدليل الظاهر على الحدث والحادث
والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يعصنا برحمته
ويزيدنا بصيرةً في طاعته ؛

القول على أهل النود ومُبطلِي النظر، أقول أن طائفةً من
الجاحدين ستّاهم السوفسطائية معنى هذه اللفظة عندهم
الموهون المخرقون وقد ستّاهم ارسطاطاليس الملحدون
أبطلوا العلوم كلّها رأساً وزعموا أن لا حقيقة لشيء من العلوم
والمعلومات فانكروا موجود الحواريّ ومقول البدائه
ومستنبطات الاستدلال وزعموا أن الأشياء على الخيلولة
والحسبان وكما يراه النائم في المنام وقد أعرض كثير من
الناس عن مناظرتهم وعيت على من اشتغل بالردّ عليهم لأن
ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائه التي يستغنى فيها عن
الدليل لأنها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدلّ على صحّته
فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتّى يقوده ذلك الى
ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرثى^١ العامة فساد
مذهبهم فقال الحسن اوجدكم [٢١١ ٢] ما تدعون أم النظر

^١ Sic, ms.

قادم الى ما تزعمون فان ادعوا الحس كذبهم العيان وإن
 ادعوا النظر قالوا لعلكم غالطون في نظر عقولكم ولعلّ نظر
 مخالفكم يدلّ على خلاف نظركم فان سلّموا الأمر لزمهم أن
 لا يناظروا مخالفًا ولا يخطّوا مُنططًا ولا يحمّدوا مُحسنًا ولا
 يذمّوا مُسيئًا وهذا خلف من القول ووهن في الرأى وإن
 ادعوا ترجيح نظرهم فقد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الذى
 بنوا عليه مذهبهم وقد احتبس هذا الرأى صنفان من هذه
 الأئمة مقلّد مبطل النظر ومدعى أن لا دليل على النافى
 فلزمهما من ذلك ما لزم أصحاب العنود وقيل لهم أبنظري
 وحجة أفسدتكم نظر العقول وحُججها أم بنير حجة فإن قالوا
 بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يشتونه وإن زعموا بنير نظر
 فالسؤال والجواب من النظر ولا يلتقى به من ليس من اهل
 النظر وكلّ كلام من غير نظر فبحود أو عنود أو سهو أو غلط
 أو غيب وبمثلّه يقابل الزاعم أن لا دليل على النافى ثم
 نفيت الدليل مع أنّك مع نفيك ما نفيت أحد المدعين اذ انت
 لو عارضك خصمك بثل قولك وابطل دعواك ثم إذا طالبته
 بتصحيح مذهبك أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعويّين

أو اسقاطهما ولنظائر مثل الإسلام وفقهائهم حجاج كثيرة في هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتاب ومما يستدل به على وجوب النظر أنه لما لم تكن الأشياء كلها موجودة حقًا ولا كلها باطلة حقًا ولكن حقًا وباطلًا ثم وجد الاختلاف فيها شائنًا على النظائر إما من عالم مُعاندٍ أو جاهلٍ عاجزٍ ولم يكن الأخذ به على اختلافه وجب عليه بالنظر الذي يميز بين الحق والباطل وأيضًا لما لم تكن الأشياء كلها ظاهرة لأنها لو ظهرت لما جهل شيء ولا كانت خفية لأنها لو خفيت كلها لما علم شيء وكان منها ظاهرٌ جليٌّ وباطنٌ خفيٌّ وجب طلب علم ما خفي منها ولا يوجد ذلك إلا بالنظر،

القول في مراتب النظر وحدوده، أقول أن العلماء الذين وطأوا للنظائر سبيل النظر ومهدوا لهم سبيل الجدل أضربوا في ذلك حدًا من تعداه أو قصر دونه تبين تنكبه^١ وتسفؤه وخلل مذهبه وفساد بينته فجعلوا السؤال أربعة أقسام لا يقع فيها صدق ولا كذب لأنها استخبار عن مائسة^٢ المذهب

١. بتن تنكبه. Ms.

٢. مائة. Ms.

أولاً ثم عن الدليل ثم عن العلة ثم عن تصحيح العلة وذلك نهاية فصول النظر واستقرار صحة الدعوى وفسادها وقابلوا أقسام السؤال بعددها من الجواب وكلها أخبار تحتل الصدق والكذب لأن الصدق الإخبار عن الشيء بما فيه والكذب الإخبار عنه بما ليس فيه والسؤال ليس بإخبار فيحتل الصدق والكذب وإنما يوجب السؤال أحد الشيئين إما الجهل به وإما امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول والتسليم والرد والإنكار بمعارضة أو مطالبة بالدليل والدليل يوجب العلة والعلة تحقق الجواب إذا طردت صحت وحيثما انتهى الخصم وسأم انتهى الكلام،

[٣١١] القول في علامات الانقطاع، أقول المناقضة والانتقال والعجز عن بلوغ الغاية وجحد الضرورة ودفع المشاهدة والاستعانة بالتعريف والسكوت للعجز كلها من دلائل الانقطاع وكل سائل مخير في سؤاله متفقاً كان [أو] متعنتاً أحق في سؤاله أو أحوال وليست كذلك حال المجيب بل عليه القصد للحق وتعريف السائل وجه سؤال من إصابة وإحالة ولا عليه أن يجيبه عن مسألة هي فرع

لمسئلة يخالفه فيها حتى يقره بإيجابها وتأخذ ميثاقه
على القول بها لأن الخلاف اذا كان واقعاً في الأصل لم يطرد
القياس في الفرع وذلك في التمثيل كسائل عن الرسالة
منكر للتوحيد وإنما تصح النبوة بصحة التوحيد لأنه الموجب
لها وكل سؤال يرجع الى السائل بثبوت ما يريد أن يلزمه المستول
فغير لازم لأن المعارضة فيه قائمة فطلب الدليل على الدليل
والعلة على العلة إلى ما لا نهاية له فاسد لأن محصول
الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المعقول وما لا نهاية له
غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يستحسن لابن الهذيل
قوله إن صحة الصحيح وانتقاض المنقوض في جميع ما
اختلف فيه المختلفون يعلم في ثلثه أوجه أحدهما إجراء^١
العلة في العلول والثاني نقض العلة بالتفسير والثالث
جحد الاضطرار فاما ترك إجراء^٢ العلة في العلول فكقول
الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولم قلت ذلك قال لأنني
أجريت كذا فرسخاً فيقال له أكل فرس جرى في اليوم
كذا فرسخاً فهو جواد فإن قال نعم أجرى عله وان

^١ . اجزآ . Ms. les deux fois .

قال لا فقد نقضها وهو يحتاج الى علة أخرى وأما نقض
الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا اشتدَّ حرَّ الصيف
اشتدَّ^١ برد الشتاء التي تليها وإذا اشتدَّ برد الشتاء اشتدَّ^٢ حرَّ
الصيف التي تليها ثم يقول وقد يشتدَّ حرَّ الصيف ولا
يشتدَّ برد الشتاء الذي يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير
الجملة التي تقدمت لأنها لو صحت لم يشتدَّ حرَّ الصيف إلا
بإشتداد برد الشتاء أبدًا وأما جحد الاضطراب ففي البداهة
والحواس وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسي
في هيئته وخضابه أيزعمون أنه لم يزل هكذا قاعدًا
في مكانه بحاله التي هو عليها من الكسوة والخضاب
فان قالوا نعم جحدوا الاضطراب بشهادة العقول بابطالهم،
واعلم أن السكوت بعد استقرار الحق أبلغ من الكلام في
الذب عنه وزيادة البيان هُجنة وربما أودت فرصة لأن
الإفراط نقص وعلم بفلج^٣ الحجة ودحوصها^٤ أبلغ من افصاحك

^١ . واشتد . Ms.

^٢ . فلج . Ms.

^٣ . ودحوصها . Ms.

بها لأن الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كل من لزمه قول مناظره أو عجز عن جوابه في الوقت وجب عليه المصير الى مذهب خصمه ولكن بعد التبين والتثبت واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبة فإذا انكشف النطاء عن وجهه وصرح المحض عن زبدته وأومض الحق سيره فلا يسع حينئذ غير الاقرار والانتقاد له وليس من الحق تكليف الحضم إظهار ما هو خفي في نفسه لأنه غير ممكن كما يمكنه اخفاء ما هو ظاهر في نفسه ولأن ذلك [٢٠ ١٢] إزالة الشئ عن وجهه فهذه مقدمات قدمنها نظراً للناظر في كتابنا ونوصح لمن احتاط لدينه وتمحّز من تمويه المحدثين وتلبيس المخرقين وخطرات المجان ووساوس الخلق الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخذت الكفاية قرائنهم وحلت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات نفوسهم وملكهم الهزل وركبهم الجهل واسترقهم الباطل وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر فاحتالوا في إسقاط التكليف عنهم ليمرحوا في ميادين الشهوات وليركبوا ما يهونونه من اللذات بانكار علوم الأصول من البديهة

والحواس واللّه المستعان وهو خير معين، وبعد فإن لأهل
الإسلام أصولاً من الكتاب والسنة والاجماع والقياس
عليها ما يقوم لهم الحجة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها
وكذلك أهل كل ملة ودين وكتاب غير أن ذلك
لتصحيح فروع دينهم وشرائع ملتهم فلذلك أضربنا عن
ذكره صفحاً *

الفصل الثاني

في اثبات الباري وتوحيد الصانع بالدلائل البرهانية
والحجج الإضرارية

أقول أن الدلائل التي تدلّ على اثبات الله عزّ وجلّ غير
محصاة ولا متناهية في أوهام الخلائق لأنّها بعدد أجزاء أعيان
الموجودات من الحيوان والنبات وغير ذلك ممّا خفى من
الأبصار لأنّه ما من شيء وإن صغر جسمه ولطف شخصه إلّا
وفيه عدّة دلائل تعبّر عن ربوبيّته وتصرّح عن إلهيّته
تصريحاً ينتفى مع أدناها الشبهة ويُزاح الملة وإلى هذا المعنى
نظر بعض المحدثين وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه
واحد ولن يجوز غير ما قلنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق
وصانع الصنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم إلى الوجود لم
نخلُ من آثار خلقه واختراعه فهي الدلائل المقترنة بها
الشاهدة على صانعها ومنشئها فمن الدليل على اثبات الباري سبحانه

وتعالى أنه خلاف بين الأوائل والأواخر إن الأرض منها
 عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير
 مسكون وإن عظم المسكون المعلوم منها العرب وفارس والروم
 والهند وهم ذوؤ الآداب والاخلاق من سائر أهل الأرض
 لهم السير والسُنن والآيين والحكمة والهمة والنظر والحصال
 المحمودة والعلوم الماثورة من الطب والتنجيم والحساب والخط
 والهندسة والفراصة والكهانة والأديان والكتب وغير
 ذلك مما يستعملونها في معاملاتهم وموضوعاتهم وما سواهم
 رِعَاعٌ وهمجٌ سافلوا الرتبة عن رب من قدمنا ذكرهم
 وناقصوا الحظ من حظوظهم إِمَّا بيهيئ الطبع في قلة التمييز
 والفتنة وإِمَّا سَبُعِيَّة في الجفوة والغِلظة حتى أن منهم مَنْ
 يتزو بعضهم على بعض ومنهم من يأكل بعضهم بعضاً لعل
 قد ذكرها القدماء ليس هذا موضع شرحها بقول الله سبحانه
 وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^١ ثم إن هذه الأمم^٢ المحمودة أخلاقهم مع
 اختلاف أصنافهم واقتراق ديارهم وتفاوت آرائهم في المذاهب

^١ Ms. ذو.

^٢ Qor., ch. XVI, v. 8.

^٣ Ms. الأمة.

التي اجتجلا والأديان [١٢ ٧] التي اعتقدوا لم يختلفوا في وجود آثار الصانع الحكيم في هذا العالم وما يشاهدونه في أجزائه وأبعاضه واختلاف طباعه وتماقب أعراضه فإذا صح وجود البارئ الأزلّي القديم الأول السابق ببدائه العقول وشهادة النفوس واضطرار الفطرة وألجاء الخلقة بذلك بني تأسيسهم وعليه بني تركيبهم إلا من شدّ من جاهل أو جاحد مؤوف في نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم أثر من غير مؤثر ولا صنع من غير صانع ولا حركة من غير محرك كما يحدد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بانٍ وصورة بلا مصوّر فسبحان من لا انتهاء له إذ لا ابتداء له منه البداية وإليه النهاية مُبدع القوى وممدّ الموادّ وسابق العلل ومنشئ البسائط ومركّب العناصر وخافظ النظام ومدبر الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم العدل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب الغني عن اجتلاب المنافع مدبّر الأمور ومدبّر الدهور أرخى على الأوهام ستور ربوبيّته وضرب على مطالع العقول حجب إلهيّته فليس يُعرف إلا بما عرف به الخلق نفسه ولا يُدرك أحدٌ

من صفاته كنهه الأبصارُ عن بدائع صنعه خاسته والبصائرُ
عن ملاحظتها نابتة والقلوبُ في آثار الدلائل عليه حائرة
والنفوس مع حيرة القلوب إليه والهة والعقول عند تحاقتة
الإشراف عليه مضحكة متلاشية معبود في كل زمان معروف
بكل لسان مذكور بكل اللغات موصوف بتضاد الصفات ليس
كمثل شئ وهو السميع البصير نحمده على ما هدانا ولدينه
اجتباننا ونشهد ان لا اله إلا الله نتميز به عن المشركين
ونتزِيل عدد الجاحدين ونشهد ان محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبٍ كذاب ولا مريد دنيا ولا قائل
بالمهوى فأبلغ وأدى واتذر وأهدى وصدع بأمر الله
حتى أتاه اليقين فصلوات الله على روحه غادية وبردات^١
رحمته مترادفة على آله اجمعين ، هذا التحميد الذي وجب
أن نصدر به كتابنا لثخننا الى حيث قدرنا انه أولى به
وأليق ، ومن الدليل على اثبات الباري سبحانه وَلَهُ النُّفُوسُ
وفزعُ القلوب إذا حزبت الحوادث إليه اضطراراً إذ لا يوجد

^١ Lisez ? بركات

مضطرب وقد عضَّته نائبة ولدغته ناكبة ينفزع الى حجر أو شجر أو مدد أو شئ من الخلائق إلا اليه ويدعوه بما هو معروف عنده من اسم أو صفة هذا مشاهد عياناً كما تنزع النفس عند المكاره المخوفة إلى طلب المهرب والنجاة وكما ينفزع الطفل الى ثدي أمه ضرورةً وخلقةً كذلك الله في معرفة خلقه إياه لأن أثر الدلالة في الخلق عليه أعظم من أثر الطبع إلى مالا يلائمه وينافره ولا يمكن المجد المنكر وان غلا وتعمق في الإلحاد الامتناع^١ في معرفة الله واجراء ذكره واسمه على لسانه شاء أم أبى في حال عمده ونسيانه لأن قلبه ولسانه على ذلك الخلق كما أن طبعه على الميل الى المحبوب والازورار عن المكروه حيل^[٢ 13 ٣] ومن الدليل على اثبات الباري جلّ وعزّ أنه لا يخلو لسان أمة من الأمم في أقطار الأرض وآفاقها إلا وهم يستونونه بخواص من أسمائه عندهم ومستحيل وجود اسم لا مستى له كاستحالة وجود دليل على غير مدلول عليه بل المدلول موجب لدليل كذلك المستى موجب الاسم وما هو في التمثيل إلا بمنزلة

١ والامتناع Ms.

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلا في
 جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلا لمسمى فمن ذلك
 قول العرب له الله مفردا من غير أن يشاركوه في هذا الاسم
 بأحد من معبوداتهم لأنه خاص لهم عندهم وكانوا يطلقون
 على غيره على التنكير وأما الرب بالتعريف والرحمن فلم
 يكونوا يجيزونه إلا لله تعالى وإنما تسمى 'مسيلة الكذاب
 بالرحمن مضادة لله جلّ وعزّ ومماندة لرسوله عليه السلم ذلك
 مشهور مستفيض في قوافي أوائلهم قبل قيام الإسلام فمن
 ذلك قول بعضهم في الجاهلية [طويل]

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا يَمِينَهَا
 فأضاف فعل القطع الى الرحمن لأنه أراد به الدعاء
 وعلم أنه لا يجب الدعاء إلا لله وقول أمية بن ابى
 الصلت [بسيط]

وَالْحَيَّةُ الْحَنَفَةُ الرُّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِهَا آمَنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ
 إِذَا دَعَا بِأَسْمِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ يُرَى فِي سَفِينَا دَرَمُ

وإنما أتينا بهذا البيت حجة لإثبات اسم الإلهية لا لرؤية
الحية وقول زيد بن عمرو، [طويل]

إِلَى اللَّهِ أَهْدَى مَذْحِي وَثَنًا يَا^١ وَقَوْلَا رَصِينًا لَابْنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ مُدَانِيَا

وقول فارس هرمز وايزد ويزدان ويزعمون أن عبادتهم النار
يقرب إلى الباري عز وجل لأنها أقوى الإسطقات وأعظم
الأركان كما قال مشركوا العرب في عبادتهم الأوثان ما
نبدمهم ألا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ولا يجوز أن يكون غير
هذا حالة من يعبد شيئاً من دون الله لأنه يعلم أن
معبوده من خشب أو حجر أو نحاس أو ذهب أو شيء من
الجواهر غير خالقه ولا صانه ولا مدبر أمره ولا محوله ولقد
دخلت بيت نارخوز وهي كورة من كور فارس قديمة
البناء وسألته عن ذكر الباري في كتابهم فأخرجوا
إلى صُحُفًا زعموا أنها الإسطا وهو الكتاب الذي جاءهم
به زردشت فقرأوا على لسانهم وفسروه على فهمهم الفارسية

^١ ثنانيا Ms.

فيكمازهم بهسته هرمر ربشتاسبندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو الباري بلسانهم وبشتاسبندان الملائكة ومعنى
رستخيز فني فقم وقول الأعاجم بلسان الدرية خدای
وخداوند وخدايكان وقد سمعت غير واحد قال في تأويله
خدست وخوذبوذ منعا أنه هو بذاته لم يكونه مكوّن
ولا يحدثه محدث وقول الهند والسند شيتاوبت ومهاديو
وأسماء كثيرة غير هذه يصفونه بمخاوص افعاله [٢٠ 13 ٣٠] وقول
الزنج ملڪوى وجلوى قالوا معناه الرب الاعظم وقول
الترك بير تنكرى يعنون الرب واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لحضرة السماء فإن كان كما ذكروا فإنهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهية وإنما شكوا في الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السماء واسم الباري عندهم بالغ بايات
معناه الفنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبة وما يدانيها
من البلدان بالسريانية لأنّ عالمهم نصارى لاها ربا قدّوسا
ولا فرق بين السريانية والعربية إلا في أحرف يسيرة فكأنّ
السريانية سلخت من العربية والعربية سلخت من السريانية
وقول اليهود بالعبرانية ايلوهم ادناى اها شراها

ومعنى ايلوهيم الله واول^١ التورينة برشيت بارا ايلوهيم
يقول اول شئ خلقه الله هذا الذى عليه معظم الأمم
والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فاما أقاطيع الناس في
مجاهيل الأقاليم فمن يحيط بلغاتهم إلا الذى خلقهم وقسم
بينهم ألسنتهم وسمت^٢ قومًا من برجان يسمونه ادفوا فسألتهم
عن اسم الصنم فقالوا فع وبألت القبط من صعيد مصر عن
اسم البارئ بلغتهم فزعموا احد شناق كذا ظنى والله أعلم،
ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه هذا العالم بما فيه
من عجيب النظم وبديع الترتيب ومحكم الصنع ولطيف التدبير
والاتساق والاتقان فلا يخلو من ثلاثة أوجه إما أنه لم يزل
كما هو وإما أنه لم يكن فكان بنفسه وإما أنه كونه مكوّن^٣
هو غيره فلما استحال ان يكون قديمًا لم يزل لمقارنة الحوادث
إياها وإن لم يخل^٤ من حادث فحادث مثله واستحال ان يكون
الشئ نفسه لاستحالة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهم
المعدوم من أن يتركب فيصير عالمًا لم يسبق غير الوجه الثالث
وهو أن كونه مكوّن^٥ هو غيره غير معدوم ولا محدث وهو

^١ Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلاله واعلم ان البارئ عز وجلّ ليس بحسوس
 فيحصره الحواس ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيته وكميته وأنيته
 ولا مقيس بنظير له أو شبهه فيعلم بأكثر الظن والحزر ولا
 موهوم بصورة من الصُور لكنّه معروف بدلائل افعاله وآيات
 آثاره موجود في العقول لا غير ولا تُوجد آثاره وافعاله إلا في
 خلقه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه تفاضل الخلق
 في الدرجات والطباع والمهم والإرادات والصُور والأخلاق
 وتمايز الأشخاص والأنواع من أجناس الحيوان والنبات فلو
 انها مكونة بالطباع لاستوت أحوالها وتكافأت أسبابها
 وكانت تكون في انفسها مختارة ولما يُوجد فيها ناقص ولا عاجز
 ولا مذموم ولا متأخر عن درجة صاحبه فلما وجدنا الامر
 بخلافه علنا أن مدبراً دبره ومرتباً رتبّه وهو البارئ سبحانه،
 وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان عدد الدلائل عليه
 تعالى وتقدس غير محصاة ولا متقصاة لأنك لو عمدت الى
 أصغر شخص من أشخاص الحيوان وأعملت فكرك في تعداد ما
 يوجدك من آثار صنّ الصانع فيه لرجعت حسيراً عيباً

١ مكوّن. Ms.

وَأَعْجَزْتُكَ حُجَجَ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَزَّ وَحَيَّرْتُكَ آثَارُ صُنْعِهِ وَذَلِكَ
 فِي الْمَثَلِ كَنَاطِرٍ فِي بَعُوضَةٍ أَوْ غَلْغَلَةٍ [٢١ ١٤ ٢٠] أَوْ ذُبَابٍ كَيْفَ بَنَى
 الْبَارِئُ جَلَّ وَعَزَّ جِسْمَهُ فِي لَطْفِهِ وَصَنَعَ أَجْزَائِهِ وَكَيْفَ أَطْلَقَ لَهُ
 الْقَوَائِمَ وَالْأَجْنَحَةَ وَكَيْفَ رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَا لَوْ فُرِّقَتْ
 لَمَّا كَانَ الطَّرْفُ يَدْرِكُهَا وَلَا الْوَهْمُ يَمْسُهَا وَلَا الْحَاسَةُ تَحْدُهَا وَكَيْفَ
 رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الطَّبَائِعِ مَا تَمَّ بِهِ قَوَامُ أَرْكَانِهِ وَاسْتَوَاءُ نِظَامِهِ
 وَكَيْفَ أَوْدَعَهُ مَعْرِفَةً مَا فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ طَلَبِ مَنَافِعِهِ وَاجْتِنَابِ
 مُضَارِّهِ وَكَيْفَ سَلَكَ فِي جَوْفِهِ مَدَاحِلَ غِذَائِهِ وَمَنَافِذَ طَعَامِهِ
 مَعَ نَخْفَةٍ جِسْمِهِ وَقَلَّةِ ذَاتِهِ وَكَيْفَ نَحَلَ عَلَيْهِ الْأَعْرَاضَ وَصَبَّغَهُ
 بِأَلْوَانِ الصَّبْغِ وَكَيْفَ رَكَّبَ الْحَرَكَةَ وَالسَّكُونَ وَالْاجْتِمَاعَ
 وَالْإِفْتِرَاقَ وَالصَّوْتِ وَالصُّورَةَ وَكَيْفَ رَكَّبَ فِيهِ الْعَيْنَ بَلَّ كَيْفَ
 رَكَّبَ فِي عَيْنِهِ الْبَصَرَ هَذَا فِي صِفَاتِ هَوَامٍّ مَا يَتَوَلَّدُ وَإِنْ كَانَ
 طَبْعُ الزَّمَانِ عَلَّةً لِبَشِهِ وَإِثَارَتُهُ فَانَهُ لَمْ يَتْرَكْ هَذَا
 التَّرَكِيبَ الْعَجِيبَ وَالنَّضِيدَ الْأَنِيقَ إِلَّا مِنْ تَدْبِيرٍ قَادِرٍ
 حَكِيمٍ وَكَذَلِكَ لَوْ نَظَرَ إِلَى أَدْوَنِ نَبْتٍ مِنَ النَّبَاتِ وَمَا جُمِعَ
 فِيهِ مِنْ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ مِنْ نَوْرِهِ وَوَرَقِهِ وَفَرْقِهِ وَجَذْعِهِ
 وَعَرْقِهِ وَاخْتِلَافِ طَعُومِ أَجْزَائِهِ وَرِاثَتِهَا وَمَنَاقِعِهَا وَمُضَارَّهَا

لدلّ ذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه
فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته^١ واعتدال بنيتة مع ما
خُصّ به من الحكمة والعلم والفطنة والبحث والفكرة
بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن
اهتدائه اليها وخبرته بالأمور الغامضة واستيلائه على جميع
الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من
الكمال والتمام مبنى^٢ على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما في
العالم وكبيره مضمن بالنصب والتب عاجز عن دفع ما يحلّ به
من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرفه في نشوه
ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيه ويعينه لدله
ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا
العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب في الهيئة
والشكل والصّور مع اتصال بعضه في بعض وحاجة بعضه إلى
بعض من اعتقاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتّفاق
الأركان وتقاومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

^١ هيأته Ms.

^٢ منى Ms.

قادر حكيم ولو جاز لتوهم ان يتوهم حدوث هذا العالم من
 غير محدث لجاز لغيره أن يتوهم وجود بناء من غير بانٍ وكتابة
 من غير كاتب ونقش من غير نقاش وصورة من غير مصور
 ولساغ له إذا نظر الى قصر مشيد وبناء وثيق أن يظن أنه
 انساب إلى كومة من التراب مجتمعة لم يجمعها جامعٌ فاختلط
 بها من غير خالط حتى التفت ونديت ثم انسبكت لبنا على
 أكمل التقدير وآانق التربع من غير سابق ولا ضارب ثم
 تأسس أساس القصر وتمكنت قواعده وارتفعت ساقاته
 وأعراقه حتى إذا تطاولت حيطانه وتكاملت أركانه
 وتطايرت اللبن وتراكت على حواشيتها وتناضدت أحسن التراكم
 والتناضد ثم تساقطت الجذوع والجوائز من أشجارها على قدر
 البيوت والخطط والمحتطة للأبنية بلا حاصد لها ولا عاضد ثم
 انجبرت بلا ناجر [٢١٤ ٣] وانتشرت بلا ناشر واسفنت بلا
 سافن فلما تهيأ منه الكمال واستقام المائل ترقمت بأنفسها
 فانغرزت في مغارزها وتسقفت فوق بيوتها وفاقت أساطينها
 تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فانغلقت
 بذاتها ثم تكلس القصر وتسع وتباط وتخصص وتنقش بأنواع

التزاويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرقه
على أحسن التقدير وأكمل التدبير حتى لا ترى منه ناحية ولا
لبنة ولا قصة إلا ومفهوم للناظر إليه موضع الحكمة والحاجة
إليه من غير فاعل فعله ولا صانع صنعه ولا ساع سعى فيه
ولا مدبر دبره وكذلك^١ لو نظر الى سفينة مشحونة موقرة
بألوان الحمولات وأصناف السلع راكدة في لجة البحر او
سائرة انها تركبت ألواحها وأعضادها وتسربت مساميرها
ودُسرها وانضمت حتى اسقنت بذاتها ثم نقلت الحمولة إلى
نفسها حتى امتلأت ثم ركدت في الماء فسافت عند الحاجة
وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه
انحلج قطنه وخلص قزه ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت
الوشائع^٢ وامتدت الاشرع والتقت الى منوالها وانضمت الحيوط
بعضها الى بعض فانتسج وانتقش فاذا لم يُجز هذا المتوهم
فكيف يتوهمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب
فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

^١ وذلك Ms.

^٢ الوشائع Ms.

ما يركبه الإنسان بأن العادة لم تجوّز بابتناء الدور وانتساج
الأثواب وانصباغ الأواني ولم يوجد مثل ذلك في الامتحان
والطبائع قيل فكيف جوزتم ما هو أعجب مما ذكرنا واعظم
من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإن زعم أن تركيب
هذا العالم على هذا النظم ولتركيب من فعل الطبائع فالطبائع
إذا أحياء قادرة حكيمة عالمة ولم يبق بيننا وبينه من الخلاف
الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة
وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متقن من غير
حكيم حي قادر فإن زعم بالخذ والاتناق على هذا الاتساق
غير موهوم وإنما وقوعه في النوادر ولوجاز ذلك لجاز أن من
له ساحة ولا بناء فيها ولا عمارة يتفق اتفاق ليلة فتصبح
مبنية دوراً مفروسة اشجاراً على احسن الابنية واعجب التركيب
ولا محيص للملحد من حجب الله وآياته فكيف وهو حجة
بنفسه ولغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا إلا ما يضاهاى
الفصل وما يصح ويحمل دون ما ينقض ويدق لأن من عزمنا
أن نبالغ في الاستقصاء والإيضاح لهذه المسائل في كتاب

سمينه بالديانة والامانة شكراً لمن أنعم علينا بالتوحيد ومناضلة
عن الدين وتبصراً للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم
أنه لو جاز أن يوجد شيء من الأجسام لا من خلق الله لجاز
أن يوجد عارياً من دلالة عليه. فإذا لم يوجد إلا من خلقه لم
يمخل من دلالة عليه فإن قيل وكيف يعلم أنه مصنوع
مخلوق قيل بآثار الحدث فيه فإن قيل فما آثار الحدث قيل
الأعراض التي لا ترى الجواهر منها من الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلك فإن
انكر الأعراض وحدوثها كلّم بما ذكرناه في موضعه [٢ 15 ٣] من
الفصل الأول فبحدوث الأعراض يصح حدوث الأجسام
وبحدوث الأجسام يصح وجود الحدث الباري لها سبحانه
ولقد قرأت في بعض كتب القدماء ان ملكاً من ملوكهم سأل
حكياً من الحكماء ما أدلُّ الأمور على الله فقال له الدلائل
كثيرة وأولها مسئلتك^١ عنه لأن السؤال لا يقع على لا شيء
قال الملك ثم ما ذا قال شك الشاكين فيه فأنما
يُشكّ فيما هو لا فيما لا هو قال الملك ثم ما ذا قال وله

^١ Ms. مسألتك.

الفتن^١ اليه الذي لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدني قال
حدوث الأشياء. وتنقلها على غير مشيتها قال زدني قال الحياة
والموت اللذان يسميهما الفلاسفة النشؤ والبلى فليست واجداً
احداً أحيا نفسه ولا حياً ألا كارهاً للموت ولن ينل^٢ منهم
يعنى لا ينجو قال زدني قال الثواب والعقاب على الحسنة
والسيئة الجاريان على السنة الناس قال زدني قال أجد
مزيدياً، وجاء في الأخبار ان بنى اسرائيل اختلفوا في هذا
الباب ففزعوا الى عالم فسألوه يَمَ عرفت البارئ قال بفسخ
العزم ونقض الهمة وكُتِبَ الله المنزلة مملوءة بدلائل
الاثبات والتوحيد تأكيداً للحجة لأنه موضوع في نفس
الفطرة وخاصة القرآن وقال الله لرسوله حيث سُئِلَ عن
الدلالة عليه إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الليل والنهار وَالْقُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بما ينفع الناس وما
أَزَلَّ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ .

^١ النظر Ms.

^٢ لا. Ms.

بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون^١ فدل على نفسه
 بخواص أفعاله ومعجزات آثاره التي لا سعى لغيره في شيء
 منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين^٢ ثم
 جعلناه نطفة^٣ في قرارٍ مكين^٤ الى قوله فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَالِقِينَ^٥ هل ترى أحدًا يدعى فعل شيء من ذلك وقال
 أَمِنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
 شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
 قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الْأَيَّامِ الْحُسْنِ وَقَوْلُهُ أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ^٦، دلهم على
 نفسه بضمه بإعجازهم في آخر الآيات فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
 مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٧ وتكاف غير ما

^١ Qor., sour. 11, v. 159.

^٢ Qor., XXIII, v. 12-13.

^٣ Ibid., v. 14.

^٤ Qor., XXVII, v. 61 et suiv.

^٥ Qor., sour. LVI, v. 58-59.

^٦ Ibid., v. 85-86.

في كتاب الله فضل لآله معرض ممكن لمن تدبره وتأمله
وقال وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ انكم توجدوها ولم
تحدثوها ولستم تملكون شيئاً من أمرها من الصحة والسقم
والشباب وقال سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ يعني بما ضمنها من آثار الصنع
وشواهد التدبير ودلائل الحدث ودروينا في حديث أن رجلاً
سأل بمحمد بن عليّ أو ابنه جعفر بن محمد يا ابن رسول الله هل
رأيت ربك حين عبدته فقال ما كنت لا أعبد رباً لم
أره فقال الرجل وكيف رأيته قال لم تره العيون بمشاهدة
العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالقياس معروف بالدلالات موصوف
بالصفات له الخلق والأمر يُعزّ بالحق ويُذلّ [٢٥ 15] بالعدل
وهو على كلّ شيء قدير وسئل عليّ بن الحسين رضي الله عنهما
متى كان ربك قال ومتى لم يكن ربنا وحكي عن بعض

١ Qor., LI, v. 21.

٢ Qor., XLI, v. 53.

٣ Ms. ألم.

٤ Ms. بالناس.

الحكماء أنه كان يقصر^١ الناس على هذا القدر من التوحيد
ولم يرخص لهم الخوض في أكثر منه فيقول التوحيد أربعة
أشياء معرفة الوحدانية والإقرار بالربوبية وإخلاص
الالهية والاجتهاد في العبودية وكانت حكماء العرب في كفرها
وجاهليتها يُشيرون إليه في أشعارهم ويمدحونه بالآلِبه ونمائه
فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

| | |
|---|--|
| وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ | بَشَتْ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا |
| فَقُلْتَ لَهُ فَادْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُو | إِلَى اللَّهِ فَرْعُونَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا |
| وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَتَكُنْتَ هَذِهِ | بِلَا عَمْدٍ حَتَّى أَسْقَرْتَ كَمَا هِيََا |
| وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَوَيْتَ هَذِهِ | بِلَا وَتْدٍ حَتَّى أَسْقَرْتَ كَمَا هِيََا |
| وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً | فَتَصْبِحُ مَا مَسَتْ مِنَ الْأَرْضِ صَاحِيَا |
| وَقُولَا لَهُ مَنْ يَنْبِتُ الْحَيَّ وَالْأَثَرِي | فَتَصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَاسِيَا |

وكان يقول [متقارب]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ يَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالَا

١ بقصير Ms.

دحاما فلما رآها أَسْتَوَتْ على الماء أرسى عليها الجبالا
 وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتُ له الثُّرْنُ تحمل عذبا زلالا
 إذا هي سُوقَت إلى بلدةٍ اطاعت فصبت عليها سجالا

فجعل يصفه بالصفات التي يَمَجِّزُ عنها المخلوقون معرفةً منه
 باستحالة فعل لا من فاعل وأذكرُ أُنَى سألتُ بعضَ
 الأعاجم بنواحي سنجار على نواحي المِزاح والمهازلة إذ كنتُ
 أراه جلف الجثة ثقيل اللهجة ما الدليل على أن لك خالقًا
 قبال عجزى عن خلق نفسى فكأنما أُلْقِمْتُ حجراً وما شبهته
 إلا بمنخبر عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفان رضى
 الله عنه وهو فى شملة اشعث اغبر فى زى الأعراب فقال
 أين ربك يا اعرابي قال بالمرصاد فهال ذلك عثمان فارعد
 له ومن ذلك قول صرمة بن انس بن قيس قبل
 الإسلام [خفيف]

وله الراهبُ الحبسى تراه رَهْنٌ يُؤْنِسُ وكان ناعم بال
 وله هودت يهودٌ وكانت كلَّ دين وكلَّ أمر مُضال
 وله شتى النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفال

وله الوحش في الجبال تراه في حفاف وفي ظلال الرمال

[١٦ ٣] يعني أن من مخافته هودت اليهود وحبت الرهبان
أنفسها في الصوامع ومن دلائله عرفت الوحوش منافعها
ومناكمها وليست بذات عقول مميزة وإنما يعرفه كل واحد
بمقدار فهمه وكيفية استدلاله وانشدني النهريبندي في
جامع البصرة [طويل]

ولو حلّ اقطار السموات عاقلٌ أو احتلّ في أقصى بلادٍ تُباعدُ
ولم يرَ مخلوقاً يدلّ على هدى ولم يأتِهِ وَحْيٌ من الله قاصِدُ
ولم يرَ إلا نفسه كان خلقها دليلاً على بارٍ له لا يُعاندُ
دليلاً على إبداعها واختراعها مُنيراً على مرّ الدهور يُشاهدُ

وفي هذا المقدار مقتنعٌ وبلاغ لمن ناصح نفسه وأعطى النصفة
وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل الله له نوراً فما له
من نورٍ وإذا صحّ اثبات الباري ووجود الصانع فلنقل الآن في
صفاته

القول في جواب من يقول من هو وما هو وكيف هو

أقول ان السؤال عن المائتة والمئتين والهوية محال من وجه
التفتيش عن ذاته لأن الإشارة الى هذه الاشياء تصورها في
الوهم ولا يتصور في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه
من صفات الحدث فيما أن اراد السؤال عن إثباته وإثبات
صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندي وجود
البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب انه هو الاول
والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتى يُعدّ جميع أسمائه
وصفاته فإن زعم انه سأل عن هوية ذاته قيل غير
محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم
ان هذا من صفاته اللاشئ والبطلان فهذا من وساوس الجهل
وهذان الخطل ويكلم في ايجاب الصنعة الصانع والفعل الفاعل
بما قد سبق ذكره فان طلب نظيراً أو شبيهاً بهذه الصفات
فهذا يكلفنا ان نتخذ إلهين^١ اثنين محسوساً وغير محسوس ثم
نشبه الغائب بالشاهد ليتحققه وما من إله إلا إله واحد
وليس يجب علم ما تيمناه لجهل ما جهلنا ألا ترى أننا اذا
آتسنا شخصاً في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب ان

١. الالهين . Ms.

تُبطل علمنا في ذات الشخص بما خفى علينا من بعض هيئاته
كذلك لما قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من
فاعل ثم وجدنا فعلاً لم نشاهد فاعله لم يجب ان تبطل علمنا
البديهيّ بجهلنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويته فنزل
الجواب في صفاته قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^١ فأخبر أنه أحد لا كأحد
وصمد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس
من الخلائق الروحانيين بقوله ولم يكن له كفواً أحد
فنفي النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلام فيما رُوِيَ
لرجل من الاعراب سأله عنه هو الذي اذا مسك ضرٌّ
فدعوته أجابك واذا اصابتك سنة فدعوته امطر السحاب
وانبت النبات [١٥ ١٦ ٧] واذا ضلّت راحلتك بفلاة من
الارض فدعوته ردها اليك فجعل يدلّ على ربه بدلالة
فعله وشهادة الكتاب تُغني^٢ عن طلب الأسانيد لمثل هذه
الاخبار بقول الله تعالى آمن يمجيب المضطرّ اذا دعاه ويكشف

^١ Qor., sour. CXII.

^٢ Ms. يغني.

السورة^١ وفي رواية المثبري عن أبي هريرة رضي الله عنه
 أن النبي صلى الله عليه وسلم [قال] إن الشيطان يأتي أحدكم فلا يزال يقول له
 مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حتى يقول فمن خلق الله فإذا
 سمعتم ذلك فافزعوا إلى سورة الإخلاص فقال أبو هريرة
 رضي الله عنه فينا أنا قاعد إذ أتاني آتٍ فقال مَنْ خلق
 السماء فقلت الله قال فمن خلق الأرض قلت الله قال فمن
 خلق الخلق قلت الله قال فمن خلق الله ففُتت وقلت صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد ولهذا نهى عن التفكر فيه إذ لا مَطْلَع
 للوهم والفكر عليه من طلب ما لا سبيل إليه رجع بأحد
 الأمرين إما شاكاً وإما جاحداً والجحود والشك فيه كفر
 وقد قيل تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأن
 الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أعلم أحداً من أصناف
 الخلق والأمم إلّا وهو مُقرّ بوجود شيء في الغائب خلاف
 الحاضر فمن ذلك قول الفلاسفة الميولي وأنه خلاف الأجرام
 العلوية والسفلية ومنهم من يقول بمحي ناطق لا يجوز عليه

^١ Qor., sour. XXVII, v. 63.

الموت وهو لم يشاهده حياً ناطقاً إلا ميتاً ومنهم من قال
بأن جوهراً الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد
شيئاً من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ
طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع ينيب الشمس عنها
سنة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب
علقة والعلقة تنقلب مُضغَةً ولم يشاهدها عياناً ومن قال
بأرض لا بتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من
الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسين
ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسماً إلا مؤلفاً مركباً في أشباه
لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل
لا شيء غير ما يباينه^١ ولا شيء غاب عنه ألا كما يشاهده محال
باطل وبعد فإنا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والفرح والحزن واللذة والكراهية والحب والبغض وغير
ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون
ولا عرض ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثم لم يجب
ابطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

^١ يباينه Ms.

والنوم لا شك أنها أشياء ثابتة ولها ذوات قائمة من الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فاذا كانت هذه الأشياء قُربها منا وتمكُّنها فينا ونعجز عن الاحاطة بها ولم يَجْز انكارها لوجوهها وكيف بُبْدِعها ومُنْشَأها ومُقيَمها على مراتبها وكلّ صانع لا شك أعلى رتبةً من مصنوعاتِه وأرفع درجةً فان قال قائل سَوِّتَ بين صفات العقل والروح والنفس وسائر ما ذُكِرَت وبين الباري الذي يدعونا اليه وتساوى الصفات يوجب تساوى الموصوفات فما ينكر ممن يزعم انه هو النفس أو العقل لا من الناس من يقول هو نفس [٢٠ 17 ٣] الخلاق ومنهم من يقول هو عقولهم قيل انما يجب تساوى الموصوفات إذا تساوت حدود الصفات فأما الألفاظ فمشتركة والمعاني مختلفة ألا ترى أنا نقول له هو ولغيره هو ونقول هو واحد ولغيره مما يَتميز من الأعداد واحد ونقول ذاته ولغيره من الحيوان والنبات ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأن الألفاظ سَمَاتٌ للمعاني لا يمكن العبارة إلا بها فاذا جِئنا الى التفصيل قلنا فَعَلُ الإنسان بمجارحةٍ وفِعْلُهُ ليس بمجارحةٍ وفِعْلُ

الانسان بآلةٍ وفِعْله ليس بآلةٍ وفعل الانسان في زمان
ومكان وفعل الله قبل الزمان والمكان فَيَمَلُّ بَقَى بَيْنَ
الْقَلَمَيْنِ مِنَ التَّشَابُهِ غَيْرِ سَمَةِ الْفِظِ وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَوْصَافِ
ثُمَّ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّ الْبَارِئَ جَلَّ جَلَالُهُ لَيْسَ بِالنَّفْسِ
وَلَا بِالْعَقْلِ وَلَا بِالرُّوحِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَهَبِ أَنَّ الْأَنْفُسَ
مُمْتَزِنَةٌ قَدْ فَرَّقَتْ بَيْنَهَا الْهِيَائِ كُلَّ وَالْأَشْخَاصِ وَالتَّجَزِئُ تَفَرُّقُ
وَالْتَفَرُّقُ عَارِضٌ وَلَا مُتَفَرِّقٌ إِلَّا وَتَوَهَّمُ تَجْمَعُهُ وَالتَّجْمَعُ عَارِضٌ
وَقَدْ يَمِيشُ عَائِشٌ وَيَمُوتُ مَائِتٌ وَلَا يَمْخُلُوْ مِنْ إِنْ تَبْطُلُ
نَفْسٌ بِمُوتِ صَاحِبِهَا أَوْ تَرْجِعُ إِلَى كَلْبَتِهَا أَوْ تَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِ
وَالْبَطْلَانُ وَالرَّجُوعُ كُلُّهُمَا أَعْرَاضٌ وَقَدْ أَوْضَحْنَا الدَّلَالََةَ عَلَى
حَدَثِ الْأَعْرَاضِ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَرْوَاحِ عَلَى السَّوَاءِ
وَكَذَلِكَ تَفَاوُتُ الْقَوْلِ وَاخْتِلَافُهَا وَمَا يَعْرِضُ فِيهَا مِنْ
الْحُلُلِ وَالنَّقْصِ وَالسَّهْوِ وَالْغَلْطِ كُلُّهَا مِنْ دَلِيلِ الْحَدَثِ وَمَا
الْعَقْلُ فِي قُصُورِ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ سَمْعِ الْأُذُنِ وَبَصَرِ الْعَيْنِ وَشَمِّ
الْأَنْفِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ فَان
قِيلَ أَلَهُ هُويَّةٌ وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْهَا قِيلَ الْهُويَّةُ إِضَافَةٌ هُوَ إِلَى

معناه^١ وهو إشارة فإما معنى الموقية فالذات وإى لعمري له ذات عالمة سمعة بصيرة قادرة حية غير معلومة كيفيتها فإن قيل فهو عالم بذاته قيل له ليس هو غير ذاته فتكون معلومة له غير علمه ويكون له من ذاته علم ومعلوم وقد قال قوم انه هو الطبايع ومنه حدث العالم وتركبه فالطبايع أشياء متنافرة متضادة مقهورة مجبورة وهذه هي علامات الحدث ثم هي غير حية ولا عالمة ولا مختارة ولا قادرة فيصح منها هذه الافعال المحسنة الثبينة فان أطلقوا عليها هذه الصفات فهي الباري بزعمهم وإنما غلطوا في التسمية وإن أبوا في الفعل لا يصح إلا ممن هذه صفاته واختلف أهل الإسلام في أشياء من هذا الباب فأنكر كثير منهم القول بالآينية والمائية ولا يخلون من أن يكونا إياه أو غيره أو بعضه فإن كانا غيره أو بعضه انتقض التوحيد وإن كانا إياه فهو إذا أشياء كثيرة وقال ضرار بن عمرو وابو حنيفة رضى الله عنهما له آينية ومائية لأنه لا يكون شئ موجود إلا وله آينية ومائية وعلة الآينية غير علة

^١ معناها. Corr. marg., ms.

المائية وذلك انك تسمع الصوت فتعلم أن له مُصَوِّتًا
 وتجهل ما هو ثم تراه بعد ذلك فتعلم ما هو فإعلمك ما هو
 غير علمك بأينيته ومعنى المائية عندهما انه يعلم نفسه
 بالشاهدة لا بدليل كما نعلمه واختلف المُشَبَّهة فزعمت
 النصارى انه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر
 الأحول الملقب بشيطان الطاق انه جسم محدود متناه وقال
 هشام هو جسم مُضَمَّتٌ له قدر من الاقدار من العَرَض
 كانه [١٧ ٣] سبيكة تلالاً كالدرة من جميع اطرافها واحدة
 ليس بجوف ولا متخلخل وحكى عن مُقاتل انه قال
 على صورة إنسان لحم ودم وسئل هشام كيف مبدوك فأوقد
 سراجاً وقال هكذا إلا أنه لا ذبالة له وقال قومٌ جسم
 فضاء مكان الاشياء كلها واكبر من كل شيء وقال قومٌ هو
 الشمس بينها وزعم قومٌ انه المسيح وقال قومٌ هو علي بن
 ابي طالب وذهب قومٌ إلى اشياء كثيرة متباعدة مختلفة القوى
 والفعل إلا ان بعضها مُتَّصِل ببعض وبعضها أعلى من بعض
 فأعلاها الباري سبحانه ويزعمون انه لا جسم له ولا صفة
 ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن نُذكر ودونه العقل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير
ثم الطبائع ويرون كل حركة أو قُوّة حسّاسة أو نامية منه وسيمرّ
بك النقض عليهم مجملًا في باب التوحيد ان شاء الله
وأحسن ما اختاره في هذا الفصل ألا يخوض الإنسان في شئ
منه إلا بإثبات الذات بدلائل الصفات فإما ما سوى ذلك
فيكت عنه وليقتدِ نبيّ الله موسى حيث قال له الكافر
وما ربّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما ان
كنتم مُوقنين^١ هذا طريق السلامة فإن سأل بعض مَنْ لا يعلم
كيف هو وأين هو وكم هو فإن كيف يوجب التشبيه ولا شبه
له وكم استخبار عن العدد وهو واحد وابن طلب المكان
وليس بجسم فيُشغل الأماكن،

القول في أنّ الباري واحد لا غير أقول أنّه لما صحّ وجود
الباري بالدلائل العقلية وجب ان يُنظر أواحد هو أم
أكثر لأنّ الفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد
يشارك الجماعة في بناء دار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل
على وحدانيته بإدّاء الدلائل على إثباته وذلك أنّه

^١ Qor., sour. XXVI, v. 22-23.

لو كانا اثنين لم يخلُ من أن يكونا متساويين في القوة والقدرة والعلم والإرادة والقدم والمشيئة حتى لا يُفترق بينهما بصفة من الصفات فإن كانا كذلك فهذه صفة الواحد لا يثبت في العقول غيره أو يكون أحدهما أقدم من الآخر وأقدر فالإله إذا القديم القادر إذ العاجز الحادث لا يستحق الإلهية أو يكونا معاً متقاومين متضادين فاذن لا يجوز وجود خلقٍ ولا أمرٍ لأتبه لو كانا كذلك لم يخلق أحدهما خلقاً إلا أفناه الآخر ولم يُنحِ حياً إلا أماته الآخر فلما وجدنا الامر بخلافه علمنا أنه واحد قدير وهذا ضمن قول الله تعالى لو كان فيهما إلهة لفسدتا فسبحان الله رب العرش مما يصفون^١ وقال قل لو كان معه إلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سُبلاً^٢ ولو كانا اثنين لكانا قادرين على التمانع والتقاوم أو عاجزين عن ذلك فإن كانا قادرين لم يتصل تدبير ولم يتم وجود خلق وإن كانا عاجزين فوجود الخلق عن العاجز

^١ Qor., sour. XXI, v. 22.

^٢ Qor., sour. XVII, v. 44. سبيلاً.

مُحَالٌّ أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا عَاجِزًا وَالْآخَرَ قَادِرًا فَهِيَ كَمَا قُلْنَا هِ آتِفًا
 وَلَوْ جَازَ الْقَوْلُ بِأَتْنَيْنِ لَوْجُودِ الشَّيْءِ وَضِدَّهُ لَجَازَ الْقَوْلُ بِعَدَدِ
 أَعْيَانِ الْمَوْجُودَاتِ لِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنَّهَا تَمَامُ الْقُدْرَةِ
 جَوَازِهَا عَلَى الشَّيْءِ وَضِدَّهُ فَفَاعِلُ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ عَاجِزًا عَنْ
 ضِدِّهِ غَيْرُ كَامِلِ الْقُدْرَةِ وَالْبَارِئُ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ
 بِإِيجَادِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ وَمِنْ هَاهُنَا تَفَرَّقَتِ الْمَجُوسُ وَالْتَنَوِيَّةُ
 وَالذَّهْرِيَّةُ وَسَاطِرُ فِرْقِ الضَّلَالَةِ فَزَعَمَتِ الْمَجُوسُ بِأَنَّ فَاعِلَ
 الْخَيْرِ لَا يَفْعَلُ الشَّرَّ وَأَنَّ الشَّرَّيرَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ لِأَنَّ الْجِنْسَ
 الْوَاحِدَ لَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَّا الْفِعْلُ الْوَاحِدُ كَالنَّارِ لَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَّا
 التَّسْخِينُ وَالتَّلَاجُ لَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا التَّبْرِيدُ [٢١٨ ٢٣] فَسَمَوْا الْإِلَهَ
 الْخَيْرَ هَرَمَزَ وَالشَّرَّيرَ الْحَبِيثَ آهَرَمَنَ وَأَضَافُوا كُلَّ حُسْنٍ وَجَمِيلٍ
 وَفَعَلَ حَمِيدًا إِلَى الْخَيْرِ وَكُلَّ قَبِيحٍ وَذَمِيمٍ إِلَى الشَّرَّيرِ الْحَبِيثِ
 الْمَضَادَّ لَهُ ثُمَّ اجْتَنَبُوا بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ مِنْهَا قَدِيمٌ
 لَمْ يَزَلْ وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الشَّرَّيرَ قَدِيمٌ أَيْضًا كَقَوْلِ التَّنَوِيَّةِ
 بِقَدَمِ الْكَوْنَيْنِ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَزَعَمَتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ
 حَادَثٌ ثُمَّ اخْتَلَفَ الَّذِينَ قَالُوا بِمَحْدُوثِ الشَّرَّيرِ الْحَبِيثِ كَيْفَ

كان حدوثه فزعت فرقة منهم أن القديم الخير تفكر
فكرة رذلة فاسدة فحدث من فكرته هذا الحبث الشرير
وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهرٌ خير لا يشوبه
شئ من الشرور والآفات وزعم آخرون أن الخير هفا هفوة
فحدث منه هذا الضد بلا إرادة منه ولا مشيئة فجعلوا الخير كالنود
الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره وقد أقر هذان الصنفان
بوقوع الشر من الخير المحمود ووجود جنسين مختلفين منه
فما حاجتها الى إثبات فاعلين مختلفين فإذا جاز وقوع الشر
من هذا الخير المحمود فما يؤمنهم وقوع الخير من هذا الشرير
المذموم وزعت فرقة ثالثة منهم انه لا يدري كيف
حدث هذا الشرير المنازع^١ للخير القديم فافصحوا بالحيرة
ونادوا على انفسهم بالشبهة وبهم ينفصلون ممن يعارضهم إذا
جاز حدوث شرير فاعل للشر لم لم يجر حدوث خير فاعل
للخير حتى يكون خالقهم اثنين حادثين وقد زعموا جميعاً أن هذا
الشرير كأيّد الخير ونازعه الأمر وجمع الخير جنوده من
النور والشرير جنوده من أبعاض الظلمة فاقتتلا مدة من

^١ والنازع Ms.

الدهر طويلة ثم تَوَسَّطَت الملائكة بينها ودَعَوُها الى
 الهدنة والمواذعة الى ان يضع بينها مدّة سبعة آلاف سنة وهي
 مدّة قوام العالم فاصطلحا على أن يكون أكثر الأمر والحكم
 والثلبة في هذه المدّة المضروبة للجوهر الشرير فإذا انقضت
 المدّة افضى الأمر الى القديم الخير فأخذ الشرير يستوثق منه
 إلى أن ينقضى عالم الشر والفتنة والفساد ويصير الحكم الى
 الخير المحض وهذا ظاهر الانتقاض والاختلاف وكيف
 تطمئن النفس الى عبادة عاجز مغلوب على أمر وكيف يؤمن
 الشرير الحبيث على الوفاء بالمهود والمواثيق وهل هي منه
 ألا أفضل الخير واتمّ الاحسان فقد وُجد من جوهره الخير
 وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والثلبة وهو
 شرّ وليس من جنسه واختلفت الثنوية فزعم ماني وابن
 ابي العوجاء انّ النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وأنها
 قديمان حيّان حسّاسان وأنّ فعلهما في الخلق اجتماعهما وامتزاجهما
 بعد أن لم يكونا ممتزجين فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج
 فأقرا بمحادث حدث في القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة
 منه فضاها المجوس في قولهم أنّ الخير حدث منه الشر بلا

إرادة منه ولا مشيئة وزعم ديصان ان النور حي والظلمة
 موات فاحال أشد الإحالة إذ أجاز من الموات الفعل في
 خلق الشرور والآفات فناقضوا بأجمعهم في نفس الامتراج
 لأنه لو كان بدأ به النور فقد أساء في مخالطة الظلام
 وان كان بدوه من الظلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم
 أن النور لا يكون منه إلا الخير والظلمة لا يكون منها ' إلا للشر
 فكل خير منسوب الى النور وكل شر منسوب الى الظلمة
 واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفاء ما
 يشاكل [٢٠ 18 ٧] كتابنا هذا بعد أن نستقصيه في كتاب
 المعدلة ونُشج القول فيه بمشيئة الله وقد سألهم جعفر بن
 حَرْب عن مسألة قليلة الحروف عظيمة الخطر فقال لهم
 أخبرونا عن رجل قتل رجلاً ظلمًا فُسِّل أقتلته قال
 نعم من القائل نعم قالوا النور قال فقد كذب النور
 والنور عندكم لا يفعل الشر قالوا فهو الظلمة قال فقد صدقت
 والظلمة لا تفعل الخير وقال هل اعتذر أحدٌ من شيء قط
 قالوا نعم والاعتذار حسن جميل قال فمن المُتذر قالوا

النور قال فصنع شيئاً يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة
قال فقد احسنت اذا اعتذرت فقطعهم واستعظم قوم
القول بايجاد أعيان لا من سابق فقالوا بقديم الباري وشئ
قديم معه أم الأشياء وآخر الهويات ومادة العالم والأصل
الذى حدث منه الأجسام والاشخاص فأنه جوهر بسيط
حار من الأعراض ثم احدث الصانع فيه أعراضاً من الحركة
والسكون والاجتماع والافتراق فتركب من حركاته العالم بأجزائه
فهولاء قد أوجبوا شيئين قديمين مختلفين الى الذات والصفة
احدهما حي والآخر ميت ودخلوا في مذاهب الثنوية وناقضوا
أصلهم بأن الباري لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنه علّة
والعلّة لا تفارق المعلول وجملة القول في الاعتقاد في المعدم
والموجود أن الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحس أو يُعرف أو
يصحّ منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه المعاني
فهو المعدم ولولا ذلك لكان كيف يتقد المتقد المعدم من
الموجود فإن قيل فقد اعتقدتم القديم أقدم هو وانتم
لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افُسُون انتم
بينه وبين الهيولى في المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن إنما نعتقد وجود البارئ بدلائل
صنعه وآثاره وليس يصح الهيولي اثر ويوجب اعتقاده موجوداً
بل لو وصفتوه بأفعال خاصية وجب اعتقاده وسنزيد
ايضاحاً لهذه المسئلة في فصل ابتداء الخلق ان شاء الله
تعالى،

القول بإبطال التشبيه اقول أن التشبيه يوجب الاتفاق في
الحكم والمعنى على قدر المواقع من الاشتباه وذلك يزعم
أن حدّ الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى
على كلّ ذى طولٍ وعرضٍ وعمقٍ بالتجسيم لأنّ الاشتباه
بينهما واقع في جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالأجسام
وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنّاه يقول جسم
لا جسم ويلزمه أن يحكم على كلّ ذى طول بمحدّ من حدود
الجسم لأنّه من حيث استحقّ بعض أوصافه استحقّ الحكومة
به كما أنّه إذا حدّ العرض بأنّه لا يقوم بنفسه لزمه القول
بأن كلّ ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أليس قلتم انه
شئ لا كالأشياء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالأجسام أو
له وجه لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فإنّ الشئ اسم عام

للموجود والمعدوم والقديم والمحدث وحده ما قد ذكرناه في موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون عرض ولا الى قديم دون مُحدث حتى يفرق به الى التفسير ما يدل [٣٩ ١٩] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه الا المؤلف المركب فلذلك لم يُجزأ إطلاق اسماء المُحدثات عليه لأن استواء أحكام المثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى ذهب الناشئ في قوله [بسيط]

لو كان لله شبه من خلقته كانت دلائله من خلقه فيه
قد كان مقتضيا من نشو صانه ما يقتضى النشوء من آثار ناشيه
لكنه جلّ عن أوهام واصفه فالحن يُعديمه والعقل يُبديه

الفصل الثالث

في صفاته واسمائه وكيف يجب أن يُعتقد

القول والفعل منه سبحانه

أقول أنه إذا ثبت وجود البارئ عز وجل وثبت وحدانيته
بالدلائل التي قامت وجب أن يُنظر في صفاته وما يليق
به أن يضاف إليه ويُعرف به فنظرنا فإذا من صفاته
خاص وعام فالخاص ما لا يجوز أن يُوصف بضده كالحياة
والعلم والقدرة ولا أن يوصف بالقدرة عليها ألا ترى أنه
لا يصح القول بأنه يقدر أن يحيا أو يقدر أن يعلم أو يقدر أن
يقدر ولا القول بأنه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا
يقدر على كذا لأن ما كان موصوفاً بنفسه ثم وُصف بضدها كان
الضد راجعاً إلى نفسه ولا تستقيم الإلهية بغير حياة وقدرة
وعلم وهذه تسمى صفات الذات والعاء ما يجوز أن يُوصف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإيادة والرزق والخلق والرحمة
وهي صفات الفعل والمسلمين ومن قبلهم في هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعو الى ضلال من خالف صاحبه في
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وانما ينبغي ان ينسب كل عدل ورحمة وفضل وجود إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أن صفات الله أقوال
وكنايات وهي ككأها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قوم لا معنى لصفات الفعل وإنما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت في الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يوجد
الموصوف مع عدمها قالوا فلم يزل الله خالقاً بارئاً رازقاً
مريداً متكماً رحيماً حتى أتوا على آخر صفاته وفرق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف
كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته ككأها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجوا بأنها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة ولدعي
فقل يا علم يا قدرة يا سمع يا بصر ولما قام بذاته

كما أن الصفات لا تقوم بانفسها ولا هي غيره لأن حد المتغايرين جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [١٩ ٢٠] فلو كان علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هي بعضه لأن التبعض من دلائل الحدث والله لا يُوصف بالاباض والأجزاء. وقالت المعتزلة في صفات الذات أنها ليست من غير الذات شيئاً فذات البارئ عالمة حكيمة قادرة سمعية بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سمع بذاته بصير بذاته وأما الصفات ما وُصف الله به نفسه أو وصفه المبادُ بها قالوا ولا يجوز أن يكون علمه وقدرته هو ولا غيره لأنها لو كانت هو لكان أشياء كثيرة مختلفة ولعُبدت ودُعيت فلو كانت غيره لكانت قدماء كثيرة وإن لم يزل مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل أحداث العلم غير عالم وقبل أحداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات فثبت أن ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة بها يقدر ولم يخلُ من أن يكون هي هو أو غيره وقالوا لا فضل بين من زعم أنه هو أو غيره أو بعضه قالوا وقول

القائل لا هو هو نفى وقوله لا غيره رجوع عن ذلك
 النفي وإثبات له فهؤلاء يزعمون أنه لو كان له علم لكان
 معه غيره ومخالفوهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان
 جاهلاً قالوا وهو موصوف بالقدّم والقدرة والعلم فلو كان
 عالماً بنفسه قديماً لما جاز أن يُوصَف بنفسه كما لا يُصَوَّر
 المصوَّر بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم
 بنفسه وإنما يشتم المشتوم بشم ويصوَّر المصوَّر بصورة فصَحَّ أنه
 موصوف بصفات والصفات يشتق منها الأسمى فالقديم من
 القِدَم والقدير من القدرة والعالم من العلم كما أن الحرة
 للأحر والصفرة صفة للأصفر ثم هوَلا هيَ ولا غيرها قالوا
 ولو لم يشاهد عالماً الا بلم ولا قادراً الا بقدرة فكذلك
 ما غاب عنا فبقال لهم مخالفوهم أليس الحرة والصفرة
 عرضان في الأحمر والأصفر أو ليس العالم متنا بلم علمه عارض
 فيه فهل ' الى تمثيل البارئ بجسم ذي عرض وبم ينفصلون
 ممن يزعم انه جسم أو عرض لوجود الفعل منه لأنه لا يظهر
 الفعل فيما يشاهده إلا من جسم حدث فهل يجب علينا القضاء

بأنه جسم ذو أعراض وأبعاد إذا لم نشاهد الفعل إلا من
 جسم ذي أعراض وأبعاد كذلك لا يجب القضاء بأنه
 عالم بيلم إذا لم نشاهد عالماً إلا بيلم فإن قيل إذا أُجزت عالماً
 لا يعلم فأجز جسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا
 للزمك هو بعينه في إجازتك عالماً بيلم لا هو ولا غيره ولا
 بعضه وأما قولهم ان المصور لا يصور بنفسه والمكتوب
 لا يُكتب بنفسه وإنما يصور بصورة ويكتب بكتابة
 والصورة والكتابة لا شك غيرهما وقولهم من الصفات يشق
 الأسمى فالصفات هي الأسمى بعينها ليست أنها أشياء كائنة
 فيه كالأعراض في الجواهر ولكنّه إذا أبدى فعلاً من أفعاله
 تسمى به أو سماه العباد به والكلام يطول في هذا ويمتدّ
 ومتى عمل الناظر فكره في هذا المقدار [٢٠ ٢١] تبين له
 وجه الصواب بحول الله وقوته

القول في الأسمى اقول أن اختلافهم في الأسمى كاختلافهم في
 الصفات وعامة المعتزلة على أن الأسمى هي الصفات وأن الاسم
 غير المسمى وهو قول المسمى وحده الاسم ما دلّ على المعنى وقالت
 فرقة أن الاسم والمسمى واحد واحتجوا بقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره
وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فدلَّ على
أن اسم الله هو الله وقال إِذْكُرُوا اللَّهَ ثم قال في موضع
وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأن الاسم لو كان
المسمى لكان إذا غُيِّرَ تَغَيَّرَ المسمى وإذا أُحْرِقَ أَوْ غُرِقَ
أثر ذلك كله في المسمى وكلُّ مسمى سابق اسمه وجائز
تبدل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمى واحد غير
مختلف وقد قال الله عز وجل وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدْعَى وهو غيره لا شك
وأجمت الأمة أنه غير جائز أن يقال له يا حسن على
أن يكون حسنه في ذاته وإنما يُوصف بحسن القول والفعل
وقد أخبر أن له أسماء حسنة في غاية الحسن ونهايته
فُعِيقِلَ أنه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
ولا يجوز إطلاق شيء من ذلك على الباري سبحانه وتعالى
واسماؤه تختلف باختلاف اللغات فكما أن لغة الفرس
هي غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَاخْتِلَافُ السِّيَتِ كُمْ وَاللَّوَانِ كُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك
الاختلاف شائع فيه لا شك اللهم إلا أن ينكر أن لا يكون له
غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف
اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأتفه غير ممكن ذكر
شئ إلا باسمه ثم قوله سَبِّحْ لآله واذكروا الله واذكر
ربك على ما يتعارفه الناس ان الشئ اذا لم يكن ذكراً في
نفسه لم يكن ذكره إلا باسمه وقول القائل الله معلوم
أنه اسم عربى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأن
الله عربى او عجمى فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات
من أقوال العباد وكنائياتهم فأم يكن له اسم ولا صفة قبل
الخلق وكان عطلاً غفلاً الى أن سماء العباد قيل قد قلنا أن
صفاته على وجهين صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات
الذات لم يزل بها موصوفاً وان لم يصفه بها واصفه كما أنه
لم يزل واجداً فرداً وان لم يكن خلق يوحدہ وعالماً وان لم يكن
المعلوم موجوداً وقادراً وقديماً فاما القول بأنه لم يزل
مدعواً أو معبوداً أو مشكوراً فالشاكِر والمابد والداعى

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنه لم يزل خالقًا رازقًا
يقتضى ازلية الخلق والمرزوق اللهم إلا على جهة القدرة على
الخلق والرزق فإنه يستقيم له ذلك وكذلك لو
قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيُبْصِرُ وَسَيَسْمَعُ وأجمع
المسلمون أن الله حيّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم
حكيم متكلم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضل
غنى واختلفوا في تفصيل هذه الصفات وعلمها فزعمت طائفة
أنه عالم لأن له علمًا وزعم آخرون أنه عالم بذاته لأنه
يدرك الأشياء كما هي وقد تقدم 'حجج' الفريقين مجملًا
وكذلك قولهم في القِدَم والقدرة فمن أبى^١ القول بأن
حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم
الموجود لا إلى أول وحدّ القادر الذى لا يمتنع الفعل عليه
باختياره وأجمع هؤلاء أنه موجود (٢٠٢٥ ١٣) بعينه وذاته ولا
يوجد لأنه لو كان موجودًا بوجود لم يخل ذلك الوجود من
أن يكون موجودًا أو ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

^١ .حجاج Ms.

^٢ .الى Ms.

دخل في باب العدم وإن كان موجودًا فقد وجب أن يوجد
 بوجود آخر إلى ما لا نهاية والقول بما ليس له نهاية يؤدي
 إلى قول أهل الدهر وقالت طائفة أنه حيٌ بحياة
 عالمٌ يعلم وزعم آخرون أن معنى الحي وجود الأفعال منه على
 اتفاق واتساق واختلفوا في ذاته ألما نهاية أم لا فقال
 أكثرهم أنه غير متناهٍ لأنه لا يجسم ولا عرض ولا حد له
 فيقتضى النهاية وهو مبدع النهايات والحدود وزعم هشام بن
 حكم أنه متناهٍ وكذلك يلزم كل مجسم وقد قال
 أصحاب القضاء أنه غير متناهى الذات واختلفوا أذاته
 مرئية أم غير مرئية فمن قال بالتشبيه أو رأى الرؤية
 العلم قال هو مرئى كما هو موجود معلوم ومن أبى ذلك
 قال غير مرئى كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف
 في التوفيق بين الرؤية والعلم واللمس والتفريق بينها
 واختلفوا في الكلام فمن قال هو من صفات الذات قال
 غير محدث ولا مخلوق لأن الله لم يزل متكلمًا بكلام لا هو هو
 ولا هو غيره ولا بعضه ومن قال من صفات الفعل قال هو
 محدث لأن الكلام يقتضى متكلمًا واختلفوا في الإرادة

بحسب اختلافهم في الكلام واختلفوا في المكان فقال أكثرهم
 انه بكل مكان حافظاً مدبراً وعالماً وقادراً وليست ذاته بجسم
 فيشغل الأماكن ولا يمرض فيجل الأجسام ومن كان بهذه الصفة
 فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشية انه
 في كل مكان ذو مكان وذلك مُطَرَّدٌ على أصله لما يراه جسمًا
 وقال قوم انه في السماء فوق العرش بذاته بلا نهاية
 لا يكون الشئ على الشئ بالماسة والاطلال وزعم ابن
 كُلاب انه على العرش لا في مكان واذا أجازوا أن يخلق الله
 جسمًا لا في مكان وأن يُقيم العالم لا في مكان فما ينكرون من
 كونه لا في مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلقوا في العلم
 فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون
 ولا يجوز أن يخفى عليه شئ إلا بآئه استفاد علمًا او أحدثه
 لنفسه بل ذاته متنبية عالة وزعم قوم من الإمامية أن الله
 لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أن من
 يخلقه يكفر به ويصيه ويؤذيه لما خلقه وأجازوا فسخ الخبر
 والبداء وأول من أبدع هذا الرأي في هذه الأمة المختار بن
 ابي عبيد كان يزعم أنه يعلم ما يحدث من جهة الوحي فيخبر

أصحابه بكوائن فإن اتفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربكم وكان جهنم بن صفوان ينفي الصفات كلها عن الله
سبحانه ويُنكر القول بأنه شيء زعم فراراً من التشبيه ويقول
علم الله محدث وجملة الرد على هؤلاء أن الجاهل منقوص
ومستحق المذمة لا يستحق الإلهية وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله أنه لا يكون لأن علم الله ليس بعلة ككون الشيء
ولا حامل للمعلوم على الكون كما أنه لم يزل عالماً بخلقه العالم
قبل خلقه ثم لم يجز القول بأن علمه علة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا ومما علم الله أنه لا يكون أمور علم أنها
لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r] ككون إله معه أو كون
شريك أو كون غالب يعلو أو كون نهاية وانقضاء له ومنها
أمور علم أنها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبداً بما يعلم أنه لا يكون منه ما
يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وإنما يجوز الأمر
لمن علم أنه قادر على الفعل لأن القدرة هي التي تقتضي
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لأنه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزاً جاهلاً وهذه هي مناظرة بين الفريقين مليحة
مُفيدة قالوا لهم أليس في قولكم إن الله لم يزل عالماً بأن
فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر أن يؤمن
وقد علم الله أنه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون
يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله أن فرعون
لا يقدر أن يؤمن كما علم أنه لا يؤمن ثم قلنا انه آمن أو يؤمن
لكننا مُبطلين مجهلين ولكننا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه
يقدر أن لا يؤمن ولم يؤمن فلم تكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا
عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالماً بأنه يقيم القيامة في وقتها
وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول
بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان
قادراً على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى أن يفعل ما علم
انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره
بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه وإختلفوا في جواز
وصف الله بالقدرة على الخيال كإدخال العالم في جرة او
بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنه يقتضى
العلم مقدوراً كما يقتضى العلم معلوماً فكل ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
واختلفوا في وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
قوم لأن ذلك مذموم لا يفعل إلا عن تقص أو حاجة ولو جاز
ذلك لم يكن مأمومًا ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
والعجز وكان أبو هذيل يقول هو قادر على ذلك وإن كان
لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
عليه فيكون محالًا واختلفوا في قدرة الله تعالى هل هي علم الله
أم غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
طائفة أن علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنه لو كان العلم
والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
القول بأنه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
البارئ في حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم
داود بن علي أن علمه غير قدرته وأما المعتزلة فليس من قولهم
أن له علمًا وقدرة حتى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا في
التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وما هم يكتسبونه من
المعاصي والآثم وقضائه إياها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعد أن أوجدها منهم فقال قوم كل ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأن الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُرادِهِ أو مشيئته
وإيجاده لكان عاجزاً مغلوباً وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا معاقبين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا. ولا عالمًا [٢١ ٢٠] ولا رحيماً وهذا من باب الحير
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ وُجد في العالم حيّان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأمور أوسطها
فقد قيل الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس لا يزداد على
طول النظر إلا حيرةً ودهشاً ومن طاوعته نفسه بالإسالك
عن الخوض فيه والاقتصار على ما في الكتاب رجوت أن يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

في تثبيت الرسالة وانجاب النبوة

أقول أن منكرى الرُّسل صنفان أحدهما المعطلة الذين ينكرون إثبات الباري سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلا بعد إقرارهم بالتوحيد والثاني البراهمة اقرّوا بالصانع وانكروا الرسالة واحتجّوا بأن الرسول لا يأتي إلا بما في العقل او بخلافه فإن كان يأتي بموجب العقل فما في العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسن واستقبال القبيح وان كان يأتي بخلافه فلا وجه لقبوله لأن الخطاب وقع على نوى العقول والقضية لها والتمييز اودعتها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبدًا لا يأتي إلا بما في العقول إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما في العقول ولكن من الأشياء مما ينمض ويلطف حتى يخطئه العقل او يخفى ويحتجب حتى

يَقْصُرُ دَوْنَهُ الْعَقْلُ كَانْتِفَاعِ الْإِنْسَانِ بِمَا يَنْزِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَيَشْتَقُ
إِلَيْهِ طَبْعُهُ مِنْ مَلَاذِ الْأَغْذِيَةِ وَالْمَلَاهِيِ الْمُقَوِّيةِ فَإِنَّهُ حَسَنٌ فِي
الْعَقْلِ الْأَخْذِ مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ بَلْ وَاجِبٌ وَغَيْرُ حَسَنٍ إِذَا كَانَ
لَا يَمْلِكُهَا الْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ مِنْ مَالِكِهَا فَصَارَ فِعْلُ
الْعَقْلِ فِي حَالٍ خِلَافَ فِعْلِهِ فِي حَالٍ فَدَلَّ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَسْتَفْنِي
بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَضَاهِهِ شَيْءٌ مِنَ السَّمْعِ مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَاجٌ إِلَى الرِّيَاضَةِ
وَالْتَمِيزِ وَالسَّمْعِ وَالتَّجَارِبِ لَا غَيْرَ مُوْهُومٌ لَوْ أَنَّ أَكْمَلَ الْخَلْقِ
عَقَلًا وَأَوْفَاهُمْ فَطْنَةً غُيِّبَ عَنِ النَّاسِ وَلِيدًا حَتَّى لَمْ يَسْمَعْ
شَيْئًا إِلَى أَنْ بَلَغَ فَبَادَرَهُ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ اسْتِخْرَاجُ عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ
وَالْهَنْدَسَةِ وَالطَّبِّ وَالتَّنْجِيمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ أَنَّ
الْعَقْلَ غَيْرَ مُكْتَفٍ بِهِ وَلَا بَدَأَ مِنْ مَعْلَمٍ وَمَعْرِفٍ وَهَادٍ وَمَذْكَرٍ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مِمَّا ضَرُورِيًّا لَا تَأْتِي
نَشَاهِدُ ذَلِكَ فِي أَجْنَاسِهَا وَأَمْثَالِهَا وَإِنْ لَا يَكُونُ كُلُّهَا بِالْإِسْتِخْرَاجِ
وَالْإِسْتِنْبَاطِ مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ وَأَصْلٍ سَابِقٍ فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ
الْبَارِئُ مُرِيدًا لِصَلَاحِ خَلْقِهِ غَيْرَ بِخَيْلٍ^١ وَلَا عَاجِزٍ وَلَا يَمْتَنِعُ
تَكَلُّفٍ وَلَا عِلَاجٍ فِيمَا يَفْعَلُهُ فَهَلَا جَعَلَ خَلْقَهُ رُسُلًا وَأَلْهَمَهُمْ مِنْ

^١ .مُحِيل . Ms.

العلم ما استغنوا به على الرسل او حبس طباعهم عن التخطي
إلى محذور قيل لو فعل ذلك لم يزلهم دار البلوى والامتحان
ولا عرضهم لشرف الثواب وما هو إلا كقول من يزعم لم
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم في الجنة
وهذا باب التجويز [٢٢ ٣٠] والتعديل وليس كتابنا هذا
بنينا له^١ ولكن لو فعل كان له ما فعل فإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل أو عجز وهذا الظن نقض التوحيد وإبطال الدين
فيما د الكلام فيه وتقرر بأنه عادل حكيم لا يفعل إلا الأصلاح
بمخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كلهم رؤسًا لوجب أن يسوى
بينهم في الفضل والعقل والجاء والمال والقوة ولو فعل لما عرف
فاضل فله ولا قوى قوته ولما شكر وحمد في إسقاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والذم وهذا قبيح في
العقل فدل أنه لم يجر التسوية بين الخلق لا في الحال ولا
في المال ولا في الرسالة فان طعنوا في الرسالة بما يوجد
فيها من سفك الدماء وذبح البهائم وإيلاام الناس فإن العقل
لا يرد شيئاً من ذلك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

^١ لهذا بنينا. Corr. marg.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريهة وعلى الفصد والحجامة
 وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير
 ذلك فيوجب عليه أن لا يردع ظالماً ولا يفتص من جراحة
 وهذا قبيح وترخيص في الفساد ومن أعظم الدلائل على
 وجوب الرُّسل هذه اللغات المختلفة التي تلتظ الناس بها
 ويتعارفون بها ما يحتاجون الى معرفته ولا بُدَّ من معرف
 ومعلم لها أسماء المسميات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات
 والآلات التي يتوصل بها اليها وليس في وسع الناس استخراج
 لغة ووضع لفظ يتفقون عليه إلا بكلام سابق به يتداعون
 ويتواضعون ما يريدون وليس في العقول معرفة ذلك ولا بدَّ
من معام قال الله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ثُمَّ إِذَا صَحَّتْ النَّبُوءَةُ وَوُجِيتِ الرِّسَالَةُ بَقِيَ أَنْ يُعْلَمَ الْفَرْقُ
 بين النبي وبين المتنبي لأنَّ الأشخاص متساوية متماثلة ففرق
 الله تعالى لما اراد من أقبامه حجته وإظهار دعوته بين الصادق
 والكاذب منهم بما خصه به من الآيات الباهرة والعلامات
 المعجزة الخارجة عن العادة والحس وذلك معروف معدود كما

يُحكى عن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وغيرهم من
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين

القول في كيفية الوحي والرسالة، أقول أن المسلمين ومن
قبلهم اختلفوا في هذا الباب اختلافاً كثيراً فزعمت طائفة
أن الوحي إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنه قوة الروح القدس
وعند الفلاسفة النبوة علم وعمل والمسلمون يقولون الوحي على
وجوه فمنه الإلهام ومنه الرويا ومنه تلقين ومنه تنزيل وهذه
مسئلة من فصل الصفات اغفلناها في موضعها فحررناها في هذا
الفصل وهي كيفية القول والفعل من الله لأن أهل الاسلام
في ذلك مختلفون فزعم بعضهم أن كلام الله فعل منه فهو به
متكلم وكذلك إرادته ومشيته وجبه وبُضه وقوله
كُنْ فَيَكُونُ تكوين منه لشيء والقول زيادة قالوا لأن هذه
الاشياء أعراض محل في مواضع لها معلومة وليس هو بمحل
الأعراض وقال عامة ان الفعل تكوين [٧٠ ٢٢ ١٢] وإيجاد من
غير معالجة بجارحة إلا من شذ فزعم أنه يخلق بيديه
والافعال على وجوه كثيرة فمنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه
الفعال من غير قصد على السهو ومنه الفعل بالاتفاق والبحث

وكَلَّهَا جَرَكَاتٍ وَمِنْهُ فَعَلَ التَّوَلَّدَ كَمَا يَنْفَعِلُ الشَّيْءُ بِطَبْعِهِ وَفَعَلَ
 اللَّهُ تَعَالَى غَيْرَ مُشَبَّهٍ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ
 مِنْ أَعْمَالِهِ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفَعْلِ وَلَقَدْ اِمْتَدَّ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى
 هَذِهِ وَمَا كَانَ قَصْدُنَا أَنْ نَبْلُغَ كَلْمَهُ وَلَكِنْ لَمَّا رَجَوْنَا مِنَ الْخَيْرِ
 وَأَمَلْنَا مِنْ هُدَايَتِهِ النَّاطِرِ فِي كِتَابِنَا وَاهْتِدَائِهِ بِهِ وَلَمَّا نَرَى
 مِنْ فُسَادِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَتَحْرِمِ طَالِعِ الْإِلْحَادِ وَالنِّفَاقِ وَاعْجَابِ
 كُلِّ ذِي حَرْفٍ بِنَفْسِهِ لِإِنْتِقَاضِ الْعُلَمَاءِ وَدُرُوسِ آثَارِهِمْ وَمَا
 قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ هُوَ أَوْكَدُ فِي نَفْسِي أَمْ لَا وَأَوْثَقُ عُذَّةٍ مِنْ
 جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ وَالْاجْتِهَادِ فِي شَرْحِهِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي مِنْ
 وَأَعَانَ أَنْ يَعْصِمَ مِنْ ثَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَيَنْفَعُ بِهِ النَّاطِرِينَ
 وَالْمُسْتَفِيدِينَ وَإِنْ يَرْحَمُ مِنْ عَذْرَانَا فِي تَقْصِيرِ إِنْ كَانَ مِنَّا وَقَامَ
 بِتَقْوِيمِ أَوْدِهِ وَإِصْلَاحِ غَلَطِهِ مَشَارِكًا لَنَا فِي ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ فَلَمْ
 يَتَعَمَّدْ فِيهِ خَطَاءٌ وَتَحْرِيفًا وَلَا حَمَلْنَا الْحِمَةَ وَالتَّعَصُّبَ عَلَى تَزْيِيدِ
 أَوْ إِبْطَالِ أَوْ تَغْيِيرِ رَوَايَةٍ أَوْ حِكَايَةٍ بَلْ سُقْنَاهَا عَلَى وَجْهِهَا
 وَأَدِينَاهَا بِأَوْجَزِ لَفْظِهَا لَعَلَّنَا بِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعَاجِمِ
 وَالْأُمِّيِّينَ مُبْتَدِئِي الْمُتَعَلِّمِينَ،

الفصل الخامس

في ذكر ابتداء الخلق

قال انّ الموحدين في معنى إيجاد الخلق مختلفون لأنّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرر فسفيه غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضار فأما إذا كان غنيًا من احتراز منفعة ممتنعًا من لحوق ضرر فقير سفيه ولا عايب وقد قامت الدلالة على أنّ الباري كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العيب من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وإن خفى علينا وجهه لعنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف آراء الناس في ما لاح لهم من الحكمة في خلقه وإن كان لا ينجوز القطع على شيء منه لظنه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذ الجواد بإفاضة

الجود على المجود عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينقمهم وينفع بهم يعنون لتعبر^١ المتكلفون بالخلق غير المكلف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعاء الشكر والثناء وقيل لعلم علمه أنه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئاً من ذلك نخلقهم لما شاء ولا علم لنا بمشيئته هذا قول من اقرّ بمحدث العالم وأن له محدثاً سابقاً له فأتى من أنكر ذلك فإنه احتجّ للقِدَم والاهمال بأنه لو كان للعالم صانع او مدبر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سبع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأوجاع ولا حرَم ولا موت ولا حزن ولا فاقة وآية حكمة في انشاء صورة حيوانية او نامية ثم في إفنائها ولما استوى حال المعاند والمحيب ولما فضل العالم الجاهل بالجاه والمال والمنزلة [٢٣ ٢٣] وهل لا^٢ أخبر الخلق ان كان له خالق على التناصف والتواصل ولم يخلق بينهم وبين التعادى والنظام والتباغى والتهاج وهذا كله مضمحل متلاشٍ بشهادة آثار الخلق

^١ Ms. لتعبر.

^٢ Ms. هل ; corr. marg. هل.

على تفاوته واختلافه في الظاهر من الاجتماع والافتراق.
والحركة والسكون والاعراض والمقارنة له بمعرفة كمال
القدرة ووجوب العبرة في خلق الأضداد واللكاره وإعطآء
الخلق القوة والقدرة والاختيار ليستحقوا بأعمالهم أشرف الثواب
وليرتدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما
يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضده لكانوا جمادًا مواتًا
ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بجوانسهم ولا وجدوا بقولهم
إلا الشئ الواحد الذى يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذ تكليف
ولا وقع منهم تمييز وترك إلحادهم على هذه الصورة انفع لهم
وابلغ في الحكمة ولا يفعل الله إلا الأصلح الأحكم وأما
فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فاعلم أفضل من المال لأنه
السعادة اللازمة والمال من السعادة المفارقة فلو أنصف هذا
الزاعم في القضية لفضل الجاهل بالمال على العالم لفضل العالم
على الجاهل بأضماف علمه لتساوى حالتهما وقد سئل جعفر بن
محمد الصادق رضى الله عنه عن هذه القضية قال ليعلم العاقل
أن ليس إليه من أمره شئ واى لعمرى هو من أدل دليل
على مُدبّر قدير قاهر وهولآء المعطلة اقل الناس عددًا

واوهمهم عُدة وافيلهم رأيا وأوهمهم عزما وأنقصهم حجة
وأخسهم دعوى وأدناهم منزلة وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد
في أمة وجيل إلا في الدهر والحين لأنه رأى مشرذل
وعقيدة مهجورة وعزم مدحول لا يبدو إلا من قدم جاهل
أو معاند وما أراه انتشر في أمة من الأمم وزمن من الأزمنة
انتشاره في زماننا هذا وأمتنا هذه لتسر أهلها بالاسلام وتحليتهم
تحلية شرائعهم ودخولهم في غمار أهلها واحتال من احتال لهم
بلطيف التمويه في تسليم الأصول الظاهرة والمصير به إلى
التأويلات الباطنة فهم يُرققون عن صُبح ويحتسون في
إرتناء وذلك الذي حقن دماءهم وغمد سيف الحق عنهم
نابغ في قديم الدهر وحديثه وأبدا صفحته إلا عوجل بالاستئصال
واحت من الأوصال واستنجر المدة فيهم سنة الله في الدين
خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً زعموا أن هذه الدنيا
قديمة لم تنزل^١ على ما هي عليه ولا تزال^٢ كذلك من صفة
بعد شتوة وشتوة بعد صيفة وليل بعد نهار ونهار بعد ليل ونظفة

^١ Ms. ينزل.

^٢ Ms. يزال.

من إنسان وإنسان من نطفة ووالد من ولد وولد من والد .
وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الأشياء الحساسة
والنامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبر لا أول لها ولا آخر
فإن هذه دعوى جائزة ومقالة باطلة ولو كان هذا المدعى
لم يزل مع أزلية العالم بزعمه لما ساعد له دعواه ان لم يقم
له دليل من غيره على أزليته فكيف وليس هو ممن هو لم
يزل ولا هو ممن لا يزال وان اعتمد فيه خبر من كان قبله وان
من أخبره لهو في حاله وحدثه لم يشاهد من ذلك إلا ما
شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم له [٢٣ ٧] في الكون
والحدوث لأن الدعاوى تصح بالحجج لا بالصفات وإن زعم أنه
قاس ما مضى منه بما هو مستقبل فيما بعد وأنه غير منقضى
فهذا القضاء أجود من الأول وأضعف مدة بل هو نفس دعواه
التي خولف فيها والمعارضة قائمة فإن زعم الحال والوقت
الذي هو فيه فإن هذا رأى من قصر عليه وسخفت معرفته
وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه في الحال
والوقت لم يكن قط نطفة ولا علقة ولا مضغة ولا جنيناً
ولا رضيعاً ولا يتغير فيما بعد فيكتهل ويشيب ويهرم وتجري عليه

سُوءٌ وتنتقل به الأحوال ومعاينة هذه يضطره إلى
 الإقرار ويبين عنه وجه العناد وإن زعم أن حكمه في نفسه
 خلاف حكم العالم قيل وَلِمَ زَعَمْتَ ذلك وهل أنت إِلَّا جُزْءٌ
 من العالم بل قد شَبِهَتْ في جميع معانيه فُسِمَتِ العالم الأصغر
 وكذلك كُلُّ ما يباين من الأشخاص والأنواع العلوية
 والسفلية من الحيوان والنبات ألا ترى أنك لو عدت إلى
 كُلِّ جزءٍ من أجزاء العالم فاختصصته باسم لحصل العالم
 لا شَيْءٌ كما أنك لو فرقت الجوارح والأعضاء لحصل الإنسان
 لا شَيْءٌ فهذا يدلُّك أن الكلَّ اجتماع الجزء لا غير فإن
 قال لا يقوم في الوهم ولا يتصور في النفس حدوث هذا
 العالم ولا فناؤه وانتقضاؤه عورض بأنه لا يقوم في الوهم
 ولا يتصور في النفس قدم العالم ولا بقاءه مع أن القضاء عليه
 بالحدث والانتقضاء أقرب إلى الأوهام وأشدَّ ارتباطًا لنفوس
 لقيام الدلائل الواضحة والبراهين الشافية فإن قال كيف يمكن
 اعتقاد حدوث هذا العالم لا من شَيْءٍ ولا في زمان ولا مكان
 فإن هذا اشتطاطٌ في المطالبة وجَوْرٌ في القضية لأنه تكليف
 تمثيل ما لا مثل له وإحساس شَيْءٍ غير محسوس وليس نعلم

كالدنيا دُنْيَا غيرها فنشبه هذه بهذه وإنما نحكم بحدوثها لشهادة
 أثر الحدوث بها والعالَمِي الذي لا رأى له ولا نظر عنده
 يطلب البدلائل الظاهرة على الأشياء الخفية وذلك مُحال
 بمنزلة مَنْ يجب أن يرى ما لا يرى وأن يسمع ما لا يسمع
 أو يسمع ما يرى ويرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل
 المعلومات منازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس
 بالחס ومن المدلول عليه بالدلالة وقد لعمرى لا يتصور في
 الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثم
 لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فإذا تكافأت
 الصورتان لزم المصير إلى أشيمها دلالة وأدناها إلى الحق درجة
 فإن الدلائل شاهدة بآثار الحدث والقدم موهوم وقضية
 الدلالة عليه من قضية الوهم والدليل على أن العالم حادث
 غير قديم كما يزعمون وأنه لا أول له ولا حركة إلا وقبلها
 حادثة لو كان كذلك لما جاز وجود ما هو حاضر في الحال
 من حركة أو ليل أو نهار أو شخص ما لأن ما لا نهاية له
 في وجوده وعدمه فمحال أن يوصف بأنه قد تنهى وانقضى
 حدوثه وفُريغ منه ولأن ما لا أول له فقير جائز وجود ثانيه

ولا وجود ثالث ما لا ثاني له ولا وجود رابع ما لا ثالث له
على هذا القياس كما أن ما لا غاية له ولا نهاية في
المستقبل [٢٤٣] محال أن يُوصَف بأنه ينقضي أو ينقطع يوماً
كذلك من زعم من الحوادث لم يزل يحدثُ بلا أول فهذا
الحادث في الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثة^١ إما
أن يكون هو الأول أو بعد الأول ولا أول ولا بعد الأول فإن
كان هو الأول وإن كان بعد الأول فقد ثبت الأول وإن كان
لا أول ولا بعد الأول فهذا فساد ظاهرة فكأنه قال شيء
لا شيء ولو جاز وجود ما لا أول له لجاز وجود العشرات
من غير تقدّم الآحاد ووجود المئين من غير تقدّم العشرات
ووجود الألوف من غير تقدّم المئين^٢ لأنّ بالأحد يتم الاثنان
وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أن قائلًا لو قال لا تُثبت الأرض
حتى تمطر السماء ولا تمطر السماء حتى تتنعم ولا تنعم حتى يشور
البخار ولا يشور البخار حتى تهب الرياح ولا تهب الرياح
حتى يحركها الفلك ولا يحركها الفلك حتى تكون كذا ويمدّ

^١ م. له.

^٢ المائين. م.

في هذا الاشتراط شيئاً قبل شيء . أبداً الى غير نهاية ولا غاية
 لم يميز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنه مُعلق
 بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنه غير متناهٍ وكذلك
 من زعم أنه لم يكن حركة إلا وقبلها حركة ولا انسان إلا وقبله
 انسان ولا نبت إلا وقبله نبت الى ما لا غاية ولا نهاية
 فمحال وجود هذا الانسان والنبت لأن وجوده كان مُعلقاً
 بشرائط لا أولها وما لا غاية له لا يوجد ولا يُعلم ولا يُوهم
 وكذلك لو قال قائل لا أدخل هذه الدار حتى يدخلها زيد ولا
 يدخل زيد حتى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
 ثم كذلك الى غير غاية لم يميز دخول زيد ولا غيره أبداً
 وكذلك لو قال لا آكل تفاحة حتى آكل قلبها تفاحة
 لم يصح له اكل تفاحة ابداً لأنه كلما ضرب يده الى
 تفاحة يأكلها منه شرط أكل تفاحة قلبها ، ومن الدليل
 على حدث العالم أو أن له أولاً أنا لو توهمنا عند كل حركة
 مضت من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ او ظهور شخص لكان
 ذلك اجساماً حاضرة يحضرها العدَدُ ويبقى عليها الحسابُ
 وكذلك لو توهمنا هذا العالم حياً عالمًا لجاز أن يُعدَّ حركاته

وسكناته فيكون ذلك عدداً قائماً معروفاً لمبلغ وما له
 مبلغ وأتى الحسابُ عليه فتناء وكلّ متناهٍ له أول وإن لم يتناهَ
 ومن الدليل على حدث العالم وأن له أولاً أن ما مضى من
 حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويةً
 أو أكثر منها أو أقلّ فإن كانت مثلها فالمثل كالنصف وما
 له نصف فتناء والأكثر والأقلّ تدلّ الكثرة على تضاعف
 أجزاء الأكثر على الأقلّ فإذا ثبت تقدّم إحدى الحركات
 على الأخرى وما له تقدّم فتناء وله أول وهذا من الحجج
 الواضحة التي يفهمها كلّ سامع وللموحدين في هذا الباب من
 دقائق النظر بما ألهمهم الله من توفيقه ما لا يظهر عليها إلا
 اللقن القطين ولها موضعها من كتابه فإن قيل أليس الحوادث
 عندهم في المستقبل لا تزال إلى الآخر وإن كان لها أول يريدون
 قول أهل التوحيد ببقاء الآخرة على الأبد فما أنكرتم أن ما
 مضى من الحوادث لا أول لها وإن كان لها آخر قيل إنا
 لا نزعم أن ما له أول لا يجوز أن يكون له آخر وإن
 الحوادث غير متناهية [٢٠٢١ ص] ولكننا نقول أن الحوادث لا يزال
 يحدث منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غاية ولا يخرج كلّها إلى

الوجود حتى يُرى موجودًا لم يبقَ منه شيء لم يُوجد وليس أول
 الشيء بموقوف على صحّة وقوع آخره كما أن آخره موقوف على
 صحّة وقوع أوله لأنّه يستحيل وقوع آخر لا أول له ولا
 يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
 فاعل متقدّم ثمّ لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقياً أبداً أو
 كما أن الأعداد مفتقرة أبداً الى أول تنشؤ منه وتبتدى ثمّ
 لم يجب وجود تناهيها لتناهي أولها ومن الفرق بين المستقبل
 والمستدير أنّه يجوز وجود ما لا يزال يتحرك ولا يجوز وجود
 ما لم يزل يتحرك كما أنّه يجوز وجود من لا يزال يتذر من
 ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذراً لأنّ الاعتذارات
 لا بُدّ لها من أول وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
 الأفعال لا بُدّ أن لها أولاً ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
 هاهنا التزم بعض الموحدين بأنّ الحوادث لها آخر آخر العلة
 الحادث وإن زعم أن هذا العالم وما فيه من فعل الطبايع وما
 أوجبه ذواتها فالطبايع مركبة من البسائط والتركيب عرض
 وهو دلالة الحدّث فالطبايع إذا مُحدثة ثمّ هي جاد وموات
 كالخبر والشجر ثمّ هي مستخرة مقهورة بدلالة أن من شأنها

التنافر والتضاد فلما رأيناها متواطئة متوافقة علنا أنه
 يقهر قاهر وضبط ضابط ثم هي غير عالة ولا مميزة وإذا كان
 هذا هكذا استحال وجود هذه الصنعة المحكمة المتقنة
 العجيبة البديعة من مُسَخَّر غير عالم وليس تُنْكَر فعل الطبايع
 وتأثيراتها في المطبوعات من الحر والبرد في الفصول والارباع
 لأن الله تعالى وضعها على ذلك وركب فيها تلك القوة
 وسخرها لما أراد أن يصرفها عليه وجعلها سبيلاً لتلك المُسَبِّبات
 ومتى شاء سلبها تلك القوة وأبطل فعلها كما جعل الطعام
 مُشْبَعاً والماء مرويّاً وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه
 تحملاً لمذهبهم وإن يصح فعل من حى قادر فأما الاختيار
 والتدبير فغير جائز إلا من قادر حكيم وكذلك على من
 يزعم أن هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها
 فإن قيل إذا لم تَرَوْا حياً قادراً فعل انساناً وصورة وركب
 فيه العقل والقوة والسمع والبصر ثم قضيت بأن فى الغائب حياً
 قادراً يفعل ذلك ما انكرتم أن يكون الطبايع تصور مثل
 هذا الانسان وإن لم تروا مثل هذا فى الشاهد قيل وما
 سوا لائنّا وإن لم نشاهد حياً قادراً فعل انساناً فقد شاهدنا

- ياً قادراً فعل شيئاً وأبدعه فدلنا انه لا يجوز فعل في لغائب إلا من حيّ وليست الطبائع بحية ولا قادرة فإن قيل أليس النار تُحرق والماء يَرتب قيل فقد يقولون فلان يحرق ويرد ويضيفون الفعل الى المختار الحيّ والموات المضطرّ ولو كانت الطبائع بذاتها لما جاز عليها الاتفاق مع تضادها فإن قيل شئ تعلمونه خالياً من الطبائع أو غير متولد منها قيل الطبائع نفسها متولدة منها وأكثر القدماء على أن الأفلاك ليست من جنس الطبائع وهل يصحّ القول بأن الحركة والسكون والصوت والعجز والقدرة [٣ 25 ٢] والعلم والجهل والحُب والبغض والألم واللذة والكراهة والإرادة وغير ذلك من الأضداد والأشكال من الطبائع أو أنها ليست بشئ لخروجها من أنواع الطبائع وأما احتجاجهم بالاستحالة فذلك محال الا محيل^١ لانه لو جاز أن يستحيل الشئ بنفسه لجاز ان يتلاشى بنفسه ولو جاز ان يتلاشى بنفسه لجاز أن يتركب ويخرج إلى الوجود من العدم وهو عدم فلما لم يجز هذا لم يجز ذاك وبالله التوفيق، ومن الدليل على حدث العالم أنه لا يخلو

^١ كذا في الأصل : Note marginale :

من أحد الأمرين إما أن قد كان وإما أن لم يكن فكان
 فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنه
 ما كان فدلّ أنّه لم يكن فكان ثمّ لم يخلُ هذا من أحد
 الأمرين إما أنّه كان بنفسه وإما أنّه كان بمكوّن غيره فإن
 كان بنفسه فحال أن يكون العدم وجودًا لعجز الكائن عن
 تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهي معدومٌ بقي
 الوجه الآخر وهو أنّه كونه مُكوّنٌ ومن الدليل على
 حدث العالم أنّه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا
 حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنه لا قديم
 ولا حادث لمشاهدتنا إياه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا
 لاستحالة اجتماع الضدين بقي القول بالقديم والحادث والدعوى
 يتساوى فيه لأنّه ليس قول من زعم أن العلم كان أولى من
 قول من زعم بأنه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لم يكن
 بأسعد من قول مَنْ قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل
 الحادث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد المُلحد أن
 يارضك في قولك بالقديم فطالبه بصفات القديم فإن
 أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقي الخلاف في التسمية وهذه مناظرة

جرت بين الموحّد والمحد من أوضح المسائل وأنفعها لا بُدّ لكلّ
 مُسلم من تحفظها ، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث
 العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر
 لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة أو ساكنة أو
 متحركة إلا في حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع
 ولا يفرق المفرق بالافتراق وكذلك المتحرك والساكن
 والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان
 كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهي محدثة لأنّ ما لم يسبق
 الحوادث ولم يتقدمها فحدث مثلها مثال ذلك أنّ فلاناً لو
 قال إنّ عمرواً لم يوجد قطّ في هذه الدار إلاّ وزيد معه ثم
 قال وإنّما وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمرواً إنّما أوجد
 فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتم الباقي الذي ليس
 بمنقضى لا يخلو ممّا لا يبقى وينقضى ولا يوجد بعده متعرياً
 منه فما أنكرتم أنّ القديم الذي لم يزل لا يخلو من حادث
 ولا يوجد سابقاً له متعرياً منه قيل المعارضة فاسدة من قبل
 أنّه ليس ممّا لا يبقى وينقضى عروضاً للحدث أو المحدث وإنّما
 عروض ذلك لم يبقَ وانقضى وذلك أنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتي به يستحق الحكم بأنه
 منقضى غير باق فلم يكن منكراً لأن يقارن الباقي حتى لا يخلو
 منه اذ لم يسبق الوصف المضاد لوصفه وقولك قد حدث حكم
 قد وجب له في وقته لا ينتظر وجوبه في وقت فاستحال
 أن يقارن القديم حتى لا يكون [٢٥ ٧^٩] القديم سابقاً له فإن
 قيل فواجبوا أن يكون الباقي متغرياً ممن لم يبق وانقضى كما
 أوجبتم أن يكون القديم سابقاً للمحدثات موجوداً قبلها قيل
 ذلك يفعل وهو الواجب كما أنه سابق للحوادث فكذلك
 يجب أن يكون باقياً متأخراً عنها ومتى ما لم يكن كذلك
 لم يكن باقياً كما أنه لو لم يسبقها لم يكن قديماً فإن قال اذا
 زعمتم أن المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون
 المقارن للحوادث أمس حادثاً أمس قيل لأننا نقول أن الذي
 يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها
 فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجوداً
 قبله فلذلك لم يجب أن يكون حادثاً معه وهذه يؤكد
 ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس
 حادثاً أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بإطلاق حادثاً بالإطلاق فإن قيل أليس لم نشاهد والاجسام
مقارنة لحوادث إلا وقد كانت موجودة قبلها مقارنة لحوادث
غيرها فهلا زعمتم أن ذلك سبيلها وأنها لم تنزل كذلك قبل
هذا غير واجب لأننا وإن كنّا حكمنا بأن الأجسام التي
شاهدناها كانت متقدمة للحوادث المقارنة لها مقارنة لغيره
فلم نحكم بذلك من طريق الوجوب ولا لأنّ الجسم إنما كان
جسماً موجوداً لأنّه لا بُدّ من أن يكون متقدماً للحوادث
المقارنة لها مقارنة لغيره لأنّ هذا حدّ الجسم وحقيقته بل
إنما حكمنا بذلك لأننا لم نشاهد جسماً حدث في وقت
مشاهدتنا له ولأنّه صحّ عندنا بالخبر والدليل أن هذه
الأجسام التي شاهدناها قد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحّ أن الجسم لا يخلو من حادث ولو أننا شاهدنا جسماً في
وقت لم نشاهده قبله ثمّ لم يقم لنا دليل على أنّه كان
موجوداً قبل تلك الحال ولا خبر صادق بذلك لما حكمنا
بأنّه قد كان موجوداً قبل الحوادث المقارنة له مقارنة
لغيرها بل كنّا ننخبر^٢ ذلك وننخبر^٣ أن لا يكون سبق ما

١ Ms. احد.

٢ Ms. بحر.

٣ Ms. بحر.

هو موجود معه منها ، فإن قيل ولم جوزتم هذا وهلا قضيت
على كل جسم غاب أو حضر وردّ فيه خبراً ولم يردّ قام على
تقدمه دليل أو لم يفتّ بمثل^١ ما شاهدتم عليه هذه الأجسام
وقضيت بها عليها من تقدمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها^٢
لغيرها وإلا فكيف تزعمون^٣ انكم تقضون بالشاهد على الغائب
قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنّه
ليس يجب اذا شاهدنا جسماً على صفة من الصفات أن تقضى
كلّ جسم غاب عنا كذلك انما يجب اذا شاهدناه على صفة
ما أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الذى هو حدّه
وحقيقته أم لا فإن كان كذلك قضينا على كلّ جسم
غاب عنا بحكمه وإلا فلا كما قلتم أن لا جسم فى الشاهد إلا
مركباً من الطبائع الأربع ولا مركباً من الطبائع إلا جسماً ثم قلتم
بأن الافلاك من طبيعة خامسة وله يشاهدوا ذلك فكذلك
إذا لم نر إنساناً إلا أبيض لم يجب القضاء بأن كلّ إنسان

١ مثل Ms.

٢ مقارنتها Ms.

٣ يزعمون Ms.

أبيض أو لم نَرْ رُمَانًا إِلَّا حُلُوًّا لم يلزم أن لا يكون رُمانٌ إِلَّا حُلُوًّا وكذلك اذا لم نَرْ جسمًا مقارنًا لحادث إِلَّا وقد كان عندنا متقدمًا له مقارنًا لحادث غيره فلم يكن جسمًا لآثمه كذلك ولا ذلك حذّه بل حذّه أن يكون طويلًا عريضًا عميقًا فلما لم يكن جسمًا لآثمه يسبق الحوادث فيوجد مع غيرها لم يجب أن يكون ذلك [٢٨ ٢٩] حال كلّ جسم في كلّ وقت وهذا ايضا جواب قولهم اذا لم يَرَوْا اَرْضًا إِلَّا وِمن وراثها ارض ولا بيضة إِلَّا من دجاجة ولا دجاجة إِلَّا من بيضة فكيف قضيت بمخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حذّ البيضة أن تكون من الدجاجة ولا حذّ الدجاجة أن تكون من البيضة وإنما الدلائل قامت على حدثها فإن قال ولمَ زعمتم ان الجواهر لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرقة قيل هذا من أوائل العلوم التي تُعرف بالبديهة ولا يعترض عليها بالشبه فإن قال ما الدليل على المجتمع اجتماعًا به كان مجتمعًا والمفترق افتراقًا دون أن يكون مفترقًا ومجتمعًا بنفسه قيل لو كان مجتمعًا بنفسه لما جاز وجوده مفترقًا ما دام نفسه موجودة وكذلك المفترق فدلّ أن المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق
مُحدَثان قيل الدليل على ذلك أننا نقصد الجسم المجتمع مفترقة
فيوجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان
موجوداً فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فإن كان موجوداً
فيه فقد كان مجتمعاً مفترقاً وهذا محال فثبت أنه حدث عند
الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كائنين في
الجسم فإن قال ما أنكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات
لا نهاية لها وأنه لا اجتماع إلا وقبلة اجتماع ولا افتراق إلا
وقبلة افتراق قيل هذا فاسد لأثبه لو كان كذلك لما جاز
أن يوجد واحدٌ منهما كما أن قاصداً لو قصد إلى جماعة فقال
لا يدخلن هذا البيت أحدٌ منكم حتى يدخله قبله آخر ما جاز
أن يوجد واحدٌ منهم في ذلك البيت ولو وجد كان في ذلك
انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع
والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا
مجتمعين أو مفترقين باجتماع وافتراق هما هما أو غيرهما فإن
كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحال وجود الافتراق فيهما ما
دامت أعيانهما قائمة وإن كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع إلى ما لا نهاية له ولا غاية وكل ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما في الحال منه وهذه مسألة جارية منذ قديم الزمان ولقد رأيتُ أهل النظر يتحَمَّون أمرها ويرفعون من شأنها ووجدتها في عدة كتب بالفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتم من قول أبي القاسم الكمي في كتاب أوائل الأدلة فأنبت بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر أحدث جملة واحدة وضربة واحدة أم شيئاً بعد شيء لأن ذلك كله مجوز في العقل فإن أوجد كما هو فابتدأه حدوثه وإن أوجد منه شيء بعد شيء فابتدأه ما أوجد منه وليس ذلك إلى العقل فيُعتمد ولكن سبيله السمع والخبر والناس مختلفون فيه القدماء ومن بعدهم من أهل الكتاب والمسلمون وأنا ذاكر من ذلك ما رُوي ومُرجح ما وافق الحق إن شاء الله عز وجل،

القول في ابتداء الخلق قرأت في كتاب منسوب إلى رجل من القدماء يقال له افلوطرخس^١ ذكر فيه اختلاف

^١ افلوطرخس Ms.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الآراء.
الطبيعية حُكِي عن تاليس الملقى^١ أنه كان يرى مبدأ
الموجودات الماء منه بدأ وإليه ينحل وإنما دعاه الى توهم
[٢٥ 26 ٢٧] هذا الرأي أنه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرطب
الذى هو المني فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشياء من
الرطوبة ومتى ما عدت الرطوبة جفت وبطلت وحُكِي
أن فيثاغورس من أهل شاميا وهو أول ما سقى الفلسفة بهذا
الاسم وتاليس أول من ابتدأ الفلسفة أنه كان يرى المبادئ
هى الأعداد المتعادلات وكان يسميها تأليفات وهندسيات
ويستى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية
لا حدة لهما فى المبادئ ويرى أن أحد هذه المبادئ هى الملة
الفاعلة الخاصة^٢ وهى الله عز وجل والثانى العقل والثالث
العنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك
بحس البصر وأن طبيعة العدد تنتهى^٣ الى العشرة واذا بلغها

١ Ms. الملقى.

٢ Indication marginale : فى الاصل الخاصه.

٣ Ms. ينتهى.

رجع الى الواحد وأن العشرة بالقوة في الأربعة وذلك اذا
اجتمعت الأعداد من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة
وقد ذكر ابن رزام هذا الفصل في كتاب النقض على
الباطنية قال افلوطرخس وكذلك كان الفيثاغوريون^١ يقولون
في الاربعة قسماً عظيماً ويأتون في ذلك بشهادة الشعر إذ يقولون
لا وحق الرباعية التي تدبر أنفسنا التي هي أصل لكل طبيعة
التي تسيل دائماً كذلك النفس التي فينا مركبة من أربعة
اشياء وهي العقل والعلم والرأى والحواس ومنها تكون كل
صناعة وكل مهنة وبها كنّا نحن أنفسنا فالعقل هو الواحدة
وذلك أن العقل أنا يجري وحده وأما الثانية التي ليست بمحمودة
فالعلم وذلك ان كل برهان وكل اقناع منه وأما الثالثة فالرأى
لأن الرأى لجماعة والرابعة الحواس وحكى عن رافليطس أنه
كان يرى مبدأ كل شيء النار واليها انتهاؤها وإذا انطفأت النار
يشكل به العالم وأول ذلك أن الطليظ منه إذا تكاثف واجتمع
بعضه الى بعض صار أرضاً وإذا تحللت الارض وتفرقت أجزاؤها
بالنار صارت ماءً والنار يحلل الأجسام ويثيرها وحكى عن

١. القوياعوريون Ms.

انماؤس انه كان يرى الهوآء أول الموجودات منه كان الكلّ وإليه يتخلّ الموجودات مثل النّفس التي فينا وإن الهوآء هو الذي يحفظ فينا الروح والهوآء يُسكان العالم كلّهُ والزوج والهوآء يقالان جميعاً لأنّ على معنى واحد قولاً متواطئاً وحكى عن فيثاغورس^١ أنّه كان يرى أنّ مبداء الموجودات هو المتشابه الأجزاء وأن الكائنات يكون بالعدّاء الذي تمتدنى به ومن هذه الكائنات يكون معنى المتشابه الأجزاء وعنده أن الاشياء^٢ يدرك بالعقل لا بالحس وهي أجزاء العدّاء وانما سميت متشابه الأجزاء من أجل أن هذه الأعضاء المكوّنة من العدّاء متشابهة بعضها يشبه بعضاً فسميت متشابهة الأجزاء وجعلها مبادئ الموجودات وصير المتشابه الأجزاء عنصراً وحكى عن ارسلانوس أنّه يرى مبدأ العالم ما لانهاية له وقد يتراض فيه التكاثف والتخلخل فنه ما يصير ماءً ومنه يصير ناراً وحكى عن اسقورس أنّه كان يرى الموجودات أجساماً مدركة عقولاً لا خلاء فيها ولاكون سرمدية غير فاسدة لا يحتمل التكسر والتشتم

^١ انفساغورس Ms.

^٢ الاشياء Ms.

ولا يترض في أجزائها خلاف ولا استحالة وهي مدركة بالعقل
لا بالحواس وهي لا يتجزأ وليس معنى قوله لا يتجزأ أنها في غاية
الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالة وحكى عن
اثناقليس أنه [٢٧ ٢٠] لا يرى الاسطقسات الأربع التي هي الماء
والنار والهواء والأرض وأن المبدأ مبدآن^١ وهما المحبة والطلب
واحدتهما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقة وحكى عن
سقراط بن سقريش وافلاطون بن أرسطو الإلهي أنهما يريان
المبادئ ثلاثة^٢ الله والعنصر والصورة زعم المفسرون أن معنى
قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الأول
للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم في التخيلات
وحكى عن ارسطاطاليس بن توماجس صاحب المنطق
أنه يرى المبادئ الصورة والعنصر والعدم والاسطقسات الأربع
وجسم خامس هو الأمر غير المستحيل وحكى عن دنوهرماوس
أنه يرى المبادئ هي الله تعالى وهي العلة الفاعلة
والعنصر المنفعل والاسطقسات الأربع فهذا جملة ما حكاه

^١ مبديان Ms.

^٢ ثلاثة Ms.

افلوطرخس^١ من أقاويل الفلاسفة في المبادئ وزعم ايوب
الرهاوى في كتاب التفسير أن المبادئ هي العناصر المفردة يعنى
الحر والبرد والبلّة واليبس فكوّنت النار من تركيب الحرّ مع
اليبس وكوّن الهواء من تركيب البرد مع البلّة وكوّن الماء من
تركيب البرد مع البلّة وكوّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس
فصارت هذه العناصر المركبة ثم كوّن من تركيب هذه العناصر
المركبة الحيوان والنبات،

ذكر ما حكى أهل الاسلام عنهم، حكى ذرقان في كتاب
المقالات أن ارسطاطاليس قال هيولى قديم وقوة معه لم يزل
وجوهر قابل للأعراض وأنّ الهيولى حرك القوة فحدث البرد
ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلها الجوهر قال وشبه إحداه^٢
الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل
له والفعل مرّض وهو غير الانسان فكذلك الهيولى أحدث
اعراضاً هي غيره ولا يقال كيف أحدثها كما لا يقال كيف حدثت
هذه الحركة من الانسان وحكى [عن] جالينوس أنّه قال

^١ .افلوطرخس Ms.

^٢ .بإحداث Ms.

بأربع طبائع لم ينفك العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
 بأربع طبائع وخامس معها خلافا لولا هو لما كان للطبائع انتلاف
 على تضادها قال وقال هرمس^١ بمثل مقالة هولاء فثبت
 العالم ساكنا ثم تحرك والحركة معنى وهو زوال وانتقال والسكون
 ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعوراء العالم قديم وله مدبر
 يدبره وهو خلافة من جميع المعاني واثبت الحركات فقال ان
 الحركة الأولى هي الثانية معاودة لأن من قوله أن الحركة مع
 اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاصططلاب
 بمثل مقالة بلعم إلا أنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركا بحركات
 لا نهاية لها وأنكروا أن يكون الحركة لها أول وآخر لانها ليست
 بمجدثة قال وقال أصحاب الجنة أن العالم لم يزل مصورا قديما
 جنة مضمته فأنقلعت الجنة وكان الخلق كامنا فيها فظهر على
 نحو ما يظهر في النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
 الجوهرة أن العالم جوهرة قديمة وأحدية الذات وانما اختلفت
 على قدر التقاء^٢ الجوهرة وحركاتها فإذا كانا جزءين كانا حرا

١. هرمس. Ms.

٢. التقاء. Ms.

وإذا كان ثلاثة أجزاء صار برّداً وإذا كانت أربعة صارت رطوبة
وزعم أنّ حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشئ مذاهب
هؤلاء كلّهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات طبقة
قالت [٣٠ 27 ٢] يَهْدَم الطينة وَحَدَّث الصبغة وطبقة قالت يحدث
الطينة والصبغة وطبقة شَكَت فلم تدرِ أقديمة هي أم حديثة
لتكافئ الأدلة عندها وقد قال جالينوس وما على أن لم أدرِ
أقديمة هي أم حديثة وما حاجتى إلى ذلك في صناعة للطب ،
ذكر مقالات الثنوية والحرانية أصل اعتقاد هؤلاء في
الجملة أن المبدأ شيان اثنان نور وظلمة وأنّ النور كان في
أعلى العلو وأنّ الظلمة كانت أسفل السفل نوراً خالصاً وظلمة
خالصة غير ممّاسين على مثال الظلّ والشمس فامتزجا فكان
من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذي يجمع أصل عقائدهم
ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديسان ان النور خالق الخير
والظلمة خالقة الشرّ بعد قوله بأنّ النور حيّ حسّاس والظلمة
موات فكيف يصحّ الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما
لحق الماتوية والديصانية من التناقض والفساد أحدث
مذهبا زعم أنّ الكونين النوريّ والظلاميّ قديمان ومعهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافها وخارجاً عن خارجها وهو الذى حمل
الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المُعْدِلُ بينهما لما
كان من جوهرهما إلا التباين والتنافر وزعم كنان أن أصل
القديم ثلاثة أشياء الارض والماء والنار غير أن المدبر لها اثنان
خير وشر، وأما الحرّانيّة فمختلف عندهم فى الحكاية زعم احمد
ابن الطيّب فى رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أن القوم يُجمعون
على أن للعالم علّة لم يزل ويقولون المدبرات سبع واثناعشر ويقولون
فى الهوى والعدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوة
بقول ارسطاطاليس فى كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنهم
يقولون مثل قول المائيّة وقال بعضهم أن مذهب الحرّانيّة ناموس
مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحد أن يُظهر خلافهم، وأما
المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترّهات متجاوزة
الحّد والمقدار لا يكاد يوقف عليها فبعضهم يقول بقول الشنوية
وبعضهم على مذهب الحرّانيّة والخُرُميّة جنس منهم يتسترون
بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وأنه نسخ بعضه فاستحال ظلمة
وأما اهل الصين فماتهم الشنوية إلى كثير ممن يليهم من التّرك
وفيه الممثلة الذين يقولون بقدّم الأعيان وأنّ العالم لا صانع

له ولا مدبّر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمينية
 والمعطلة الأخرى يقولون بالتوحيد غير أنهم يُبطلون الرسالة
 ومنهم المهادريّة يزعمون أن المبدأ ثلاثة اخوة أحدهم مهادرز
 فاحتال اخواه في المكر به فعثرت به دأته فسقط ميتاً فسلخا
 جلده وبسطاه على وجه العالم فصار من جلده هذه الأرض
 ومن عظامه الجبال ومن دماغه الأودية والأنهار ومن شعره
 الأشجار والنبات هذا ما بلغنا من مذاهب سُكّان الأرض
 والقدماء في هذا الباب وقد أشرنا إلى فساد مذهبهم ومذهب
 مَنْ يقول بقدّم العالم أو شيء مع الله تعالى بما فيه كفاية وغنية
 وهذه الحكايات كلّها ان لم يكن شيء منها زُمرّاً أو الغاذاً أو
 تمثيلاً أو روايةً عن كتاب من كتب الله عزّ وجلّ أو رسول
 من رُسل الله أو بوفاق ما جاء منهم أو بشهادة العقول قاطبةً
 فردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضمحاض وتزوير مبتدعها
 وليس في كثرة الترداد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّنت نفسك
 على تحفّظ مسألة إحداث العالم استغنيت عن كثرة الخوض في
 الفروع التي بُنيت على أصل القدم [٣ 28 ٣] لآله إذا وهى
 البناء وضعف لم يثبت فروعه ولا قامت أركانه ،

ذكر مقالات أهل الكتاب في هذا الباب ، قرأتُ في كتاب
 موسوم بشرائع اليهود أن جماعةً من علمائهم نبّوا عن التفحص
 عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا أنه لا ينبغي للإنسان أن
 يبحث عما يتعجب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم أن الشيء الذي
 خلقه الله تعالى في الابتداء سبعة عشر شيئاً خلقها الله بلا تُطق
 ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهي المكان والزمان
 والريح والهواء والنار والماء والارض والظلمة والنور والعرش
 والسموات وروح القدس والجنة وجنم وسور جميع الخلائق
 والحكمة قال ومخلوقه ذو جهات ست وهو محصور بين
 هذه الجهات التي هي الأمام والخلف والعلو والسفل واليمين
 والشمال وزعم بعضهم أن أول ما خلق الله سبعة وعشرون شيئاً
 فذكر هذه السبعة عشر وأضاف إليها كلام موسى الذي سمعه
 وجميع ما رآه الانبياء والمن والسلوى والغمام والعين التي
 ظهرت لبني اسرائيل والشياطين واللباس الذي ألبس آدم
 وحواء وكلام الجبار الذي كلم به بلعام هكذا الحكاية
 عنهم والمسطور في أول سفر من التوراة بالعبرانية * برشت مارا
 ايلوهيم اث هشومائم واث هو اورس وهو اورس هو نوثوهم

وحوش على هي يوم* يقول أول شيء خلقه السماء والأرض
 وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على الغمر وريح الله ينف
 على وجه الأرض كذا فسرهُ المفسرون فلا أدري كيف خالفته
 الحكاية عنهم ضمن التورية ولعلّ بما ذكره في بعض أسفارهم
 لأن التورية مشتتة على عدة كتب من كتب الأنبياء والله اعلم
 وأما النصارى فدينهم في هذا دين اليهود لأنهم يقرّون التورية
 ويقرّون بما فيها والصابئون محرون في مذهبهم فأكثر الناس
 على أن دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك
 فقولهم قولهم وحكى زرقان أن الصابئين يقولون بالنور والظلمة
 على نحو ما يقوله النائية والله اعلم،

ذكر قول أهل الاسلام في المبادئ وما جاء من الروايات فيها،
 حدثنا الحسن ابن هشام ببلي قال حدثني ابراهيم بن عبد الله
 العبسي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي طبيان عن ابن عباس
 رضى الله عنه قال أول ما خلق الله من شيء القلم قال أكتب
 فقال اى ربى وما أكتب قال القدر فجرى القلم بما هو كائن من
 ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثم خلق النون فدحا الأرض
 عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فماتت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال تنفجر على الأرض
 الى يوم القيامة وحدثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزي يروى حدثنا
 السراج محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعد حدثنا خالد بن
 عبد الله بن عطاء عن ابي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنه
 قال أول شيء خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له اكتب
 ما يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
 يقول الله تعالى نون والقلم وما يسطرون وحدثني محمد بن
 سهل باسوار حدثنا ابو بكر بن زيان حدثنا دعه عيسى بن
 حماد [٢٨٧] عن الليث بن سعد عن ابي هانئ عن ابي عبد
 الرحمن البجلي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنه
 قال كتب الله قادر كل شيء قبل أن خلق السموات والأرض
 بمخمسين ألف عام وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضى
 الله عنه فروى عنه أول ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
 حبيب أول ما خلق الله العرش والكرسى وروى أول ما خلق الله
 النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كله عن الحسن أنه قال
 أول ما خلق من شيء العقل وروى عنه أول ما خلق الله

١ Note marginale : كذا في الأصل .

الأرواح وفي رواية أبي الوليد عن أبي عوانه عن أبي بشر عن
 مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وُخلقت
 الأرض من الماء وحدثني جاتم بن السندی بتكرير حدثنا
 أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
 عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
 صلعم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار
 وخلق آدم كما وصف لكم وأما حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن
 عطا عن وكيع بن حرس عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال
 قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض
 قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه
 على الماء فإنه ان صغ وصغ تأويل من تأول العماء السحاب
 والغيام دل أن خلق الغمام المذكور في الخبر والقرآن كان قبل
 خلق السموات والأرض وقد روى أن النبي صلعم قال كتب
 الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام^١ ووضعه على العرش
 فإن صحت الرواية دل أن خلق العرش كان قبل سائر الخلق
 وفي كتاب أبي حذيفة عن حبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي

^١ سبقت رحمتي غضبي : Interpolation dans le ms.

الله عنه أن الله لما أراد أن يخلق الماء خلق من النور ياقوتة خضراء ووصف في طولها وعرضها وسمكها ما الله به عليم قال فلحظها الجبار لحظة فصارت ماءً يترقق لا يثبت في ضحضاح ولا غير ضحضاح يرتعد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع الماء على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن الماء فذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ورؤي عبد الرزاق عن معمر بن الأعمش عن ابن حُبير قال سألتُ ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء فعلام كان الماء قبل أن يخلق شيئاً قال على متن الريح فإن صحت الرواية عن الضحاك دلّ أن النون قبل خلق الماء وأما محمد بن اسحق فبأنه يقول في كتابه وهو أول كتاب عُملَ في بدء الخلق لقول الله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى إذ ليس إلا الماء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والعزة والسلطان فكان أول ما خلق النور والظلمة ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسودَ مظلمًا وجعل النور نهارًا مُضيئًا مبصرًا ثم سمك السموات السبع من دخان الماء حتى استقلن ثم دحا الأرض

وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات ثم استوى الى السماء وهي
دخان ، لا يختلف أحد من المسلمين ومن يدين الله بالكتاب
والرسالة ان ما دون الله تعالى مخلوق مُحدث وإن لم يذكر
خلقه وإحداثه وأما مرادنا أن نعرف أول ما خلق الله منه إن
كان ذلك ممكناً منه اختلف الرواة عن وهب بن منبه وغيره
من منى [٢٩٣] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام أنه
قال خلق الله نوراً وخلق من ذلك النور ظلمة وخلق من
تلك الظلمة نوراً وخلق من ذلك النور ماءً يخلق من
ذلك الماء الأشياء كلها وعن وهب بن منبه قال وجدت
فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلام أن الله لما أراد
خلق الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهواء ثم خلق
من الهواء النور والظلمة ثم خلق من النور الماء ثم خلق النار
والريح وكان عرشه على الماء وسمت بعض الشيعة يزعمون أن
أول ما خلق الله نور محمد وعلى ويروون فيه رواية والله اعلم
بحقها وقد ذكرت حكماً العرب ومن كان يدين الله
منهم بدين الانبياء في أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

فمنه قول عدى بن زيد المبادى وكان نصرانياً يقرأ
الكتب [بسيط]

اسمع حديثاً لكى يوماً تجاربه عن ظهريب إذا ما سائلُ سألَا
ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الأولا
كانت يرباحاً وماءاً ذا عُرائية وظلمةٌ لم يدع فتقاً ولا خلا
فأمر الظلمة السوداء فأنكشت وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سواها مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصيراً لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فضلا
قضى لسة أيام خلانته وكان آخر شيء صور الرجلا

وقد حكى الفرس عن علماء دينهم وموبذهم أول ما خلق الله
السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان ،

ذكر تصويب أرجح المذاهب ، أقول ان رأى من رأى تقديم
أحد الأركان على غيره هو مُحْتَلّ وإِ لاّ أنهم يختلفون فى الاستحالة
والفساد وكيف يصحّ على رأى تاليس الماء وهو عنده مستحيل
من الأرض وعلى رأى براقليطس^٢ النار وهى مستحيلة عنده

١ . Ms. بقديم .

٢ . براطيطس . Ms. .

من الهواء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولد حيوان أو تركب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع فيها لأن ما تفرد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعية أو من زعم بإبتداء البسائط ثم العناصر المركبة فإِنَّه يفحش قوله لأن البسائط أعراض لا تقوم بذواتها ولا بُدَّ لها من حامل فكيف يصح وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة لانهما عرضان لا جسمان والأصح على مذهب هؤلاء ما رأى اثنادقليس من تقدم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضاً فإن كانت أعراضاً فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجساماً وحدُّ الجسم ما ذكرناه واثـر الحدث مقارن له أو يكون لا أجساماً ولا أعراضاً فهذا غير مقول عند المسلمين إلا الباري جلَّ جلاله فإنه خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [٢٩ ٢٩] أجساماً ولا أعراضاً عندهم فلا بُدَّ أن يكون هو الميولي الموهوم في مذهبه وهذا شيء لو كان موهوماً لما جاز وقوع الاختلاف فيه إلا من مُعاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف في المقول إلا من مُعاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حدَّ له ولا صفة من

لَوْ أَنَّ أَوْ مَقْدِرًا أَوْ شَيْءًا مِنَ الْأَعْرَاضِ الْمَحْسُوسَةِ وَجُمْلَةً هَذَا الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مِرَاعَاةَ اثَرِ الْحَدَثِ فِيمَا سِوَى الْبَارِئِ جَلَّ جَلَالُهُ فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ مَا كَانَ مُحَدَّثًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ابْتِدَاءٍ وَإِذَا كَانَ لَا يَقُولُ بِحَدَثِ الْعَالَمِ إِلَّا الْمُوَحِّدُونَ لَمْ يَوْجِدُوا ابْتِدَاءَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ وَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ عُلَمَائِهِمْ فِي الظَّاهِرِ وَتَتَّفِقُونَ فِي الْمَعْنَى إِذَا انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَا حُكِيَ عَنْهُمْ فَحَتَّمَلْ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقَطْعُ بِهِ مَا لَمْ يَصِدِّقْهُ كِتَابُنَا أَوْ خَيْرُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقَعْ فِيهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَلَا أَنَّهُ خِلَافُ مَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ التَّوْرَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ فَالَّذِي يُوْجِبُهُ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ مَكَانٌ كُلُّهُ مَتَمَكِّنٌ سَابِقٌ لَهُ وَإِنْ لَا يَحِلُّ حَرَكَةٌ إِلَّا فِي جِسْمٍ وَلَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي زَمَانٍ وَإِنْ لَا يَصِحُّ فِعْلُ اخْتِيَارٍ وَتَدْبِيرٍ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ وَإِنْ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَ سَابِقَةً لِلْأَجْسَامِ فَمَنْ قَالَ بِقَدَمِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْمُخَالِفِينَ وَنَقَضَتْ عَلَيْهِ آثَارَ الْحَدَثِ فِيهَا وَمِزَاجَهُ وَمَنْ قَالَ بِحَدَثِهَا فَمَا حَاجَتُهُ إِلَى تَقْدِيمِ مَا قَدَّمَ مِنْهَا وَقَدْ أَقْرَبَ بَأَنَّ اللَّهَ أَحْدَثَ الزَّمَانَ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَالْمَكَانَ مِنْ غَيْرِ مَكَانٍ وَالْأَرْكَانَ مِنْ غَيْرِ أَرْكَانٍ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُعَدَّ فِيهِ شَيْئًا

من كتب الله فليس يجد في كتاب أول ما خلق ما هو فيقضى
على ما خالفه بالرد والإنكار ولابد لكل حادث من غاية ينتهي
إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع
من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من
الدهر فقد انتهى إلى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من
فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلاً نسب رسول الله صلعم إلى
آدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر
الاشياء الحادثة لا يبد لها من غاية هذا ما يباينه ويشاهده
فلذلك وضعنا ما رويانا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال
فقد ذهب بعض أهل الاسلام إلى أن أول ما أحدث الزمن
العلوي وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السفلي الذي هو من
حركات الفلك ثم المصنوع الذي هو غير متجزئ ولا متماسك
وهو فضاء بسيط ذاهب خلاء محيط بالعالم قال وليس الهواء
من الفضاء في شيء لأن الهواء جسم متجزئ ومنتشر وليس
الخلاء بمتجزئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزئ أن الخلاء لا
يدخل العالم منه شيء إلا يتخلله بثة والهواء ما بين السماء
والأرض ولا يخلو منه شيء والخلاء ما فيه السماء والأرض

والهواء. ثم الأجسام بأعراضها كذا رأيت في بعض كتبهم
والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما
دون الله مخلوق نعم سؤالك عن العالم العلوي أم العالم السفلي
أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا القانية [٣٥ ٣٠] لأن كل
شيء من هذه الأشياء ابتداء منه ابتداء ونشوء فإن قيل هل
غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي والملائكة
واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تمد من
الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان
والصور والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من
الأمم ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُمد من الدنيا
ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فله الآخرة
والأولى ولم يذكر شيئاً غيرهما قيل ولم يذكر الأشياء
غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه لله الحكم في
الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعد الموت
مستعيب ولا بعد الدنيا إلا الجنة والنار لأنه لا شيء غيرهما
. وإنما يصح هذا إذا عرفت الدنيا والآخرة ما هما على أنه لا عتب

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه
 بعد أن اعتقدها كما جاءت به كتب الله وينبئ
 أن يعلم أن كلّاً دون الدنيا روحاني حيواني خُلق للبقاء
والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والدثور بقول
الله تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون،
 ذكر أول ما خُلق فى العالم العلوى من الحيوانات يدلّ
 على أن أول ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية
 أبى ظبيان عن ابن عباس ثم العرش والكرسى على رواية
 مجاهد وقد قال قائل أن أول ما خُلق الروح والعقل
 على رواية الحسن لأنّ فى رواية ابن عباس انه قال
 للقلم اكتب فقال اى ربّ وما اكتب والأمر فى
 الحقيقة والجواب لا يصحّ إلا من حى عاقل قال ثم الحب
 ومنها النعام والنور والملائكة ثم الرحمة والمذاب يعنى الجنة
 والنار والصراط والميزان وغير ذلك ممّا ذكر وأول ما
 خلق فى العالم السفلى من الحيوانات الماء والهواء كما
 قال مجاهد وخلقت الأرض من الماء فهذه أركان العالم
 ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوى

والتور السفلي بأن هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع اختلافهم في الروح أجسم هو أم غير جسم وسيمرّ بك في بابه مشروحاً مفسراً ان شاء الله عز وجل فاذا سأل سائلٌ ممّ خلق الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فمن أى جزء من اجزاء الخلق سؤالك ولن يجاب حتى يشير الى ما أردنا فإن سأل عن الأرض قيل من زبد الماء كما جاء في الحديث والخير وان سأل سائلٌ عن السماء قيل من دخان الماء وان سأل عن الكواكب قيل من ضوء النهار وان سأل عن الأركان المركبة قيل من البسائط المفردات وان سأل عن البسائط قيل يمكن أن يكون خلقت مما خلق قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شىء لانا نرى الله يخلق الشىء من الشىء ويخلق من لا شىء وقد دللنا على أن لا شىء غير الله تعالى إلا مخلوق وان الله ابتدعه بديناً لا من شىء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كل دابة من ماء وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مادج

من نار مع سائر ما وصفت أنه خلقه من خلق خلقه قبله
 [٣٠ ٣٠] وكذلك يفعل الشيء بسبب ويفعله بلا سبب موجب
قال الله تعالى وانزل من السماء ماءً فاخرج به من
الثمار رزقاً لكم فأخبر عزّ رجل أنه جعل سبب
إخراج الثمر والنبات إنزال الماء وكذلك جعل سبب
كون الإنسان النطفة وسائر ما يوجد ويحدثه وقد
أوجد أمهات هذه الأسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته
وحكمته وان سأل سائل فيم خلق قيل فيم سؤال عن
المكان ولا مكان ألا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت
الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال
القائل أن العالم لا في مكان لكان قولاً لأنه ليس بأعجب
من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل
أنه في خلاء وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه
مكان لبعض وفي كتاب وهب بن منبه ان السموات والجنة
والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كآها في جوف الكرسي
فإن صحت الرواية كان الكرسي مكاناً لهذه الأشياء والله
 اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيف سؤال يقتضى التشبيه فى
الجواب وليس نعلم العالم مثلاً غيره فنشبه به ولكننا مشاهدين
له عند أحداثه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفية
منتفية عن فعله كما هى منتفية عنه سبحانه فإن اردت كيف
أوجده من عدم فكيف تراه اجساماً وجواهر حاملة للأعراض
قال له كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردت شكلاً وهيئة
لفعله فهذه من حالات الأعراض التى تتعاقب على المخلوقين
فإن سأل سائل متى خلق قيل متى سؤال عن المدة والوقت
من الزمان والمدة عندنا من حركات الفلك ومدى ما بين
الأفعال وقد قامت الدلالة على حدث الفلك ولا يُطلق
المسلمون القول بأن الله تعالى لم يزل يفعل لأن ذلك يوجب
ازلية الخلق ويؤدى الى قول من يرى الملول مع العلة حتى
يكون بين فعل سابق له الى ان فعل العالم مدة وقد زعم بعض
الناس أنه أحدث زماناً أوجد فيه العالم كمن قال إنه أحدث
مكاناً أوجد فيه العالم فقال قوم الزمان ليس بشئ وإن سأل
سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤال عن العلة الموجبة للفعل وفاعل
ذلك مضطر غير مختار والمضطر مقهور مغلوب ولا يجوز ذلك فى

صفة القديم فإن أردت بالعلّة الغرض المقصود في الخلق فهو
ما ذكرناه في أول هذا الفصل انه خلق الخلق لرأفته
ورحمته وجوده وقدرته لينفعهم وليأكلوا من رزقه وليتقلبوا
في نعمته ويستحقوا شرف الثواب بطاعته ،

الفصل السادس

في ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسي والملائكة والصُور
والصِراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب
والحُجب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ
من أمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها ،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى في محكم كتابه ن والقلم وما
يسطرون وقال في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال
وكلّ شيء [٣١ ٣] احصيناه في امام ميين وقال ما فرطنا في
الكتاب من شيء وقال في لوح محفوظ قال أكثر المفسرين
انه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يسجّر بما أراد
وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة
واسطةً بينه وبين رُسله ورسّله واسطةً بينه وبين خلقه
وهذا لا يختلف فيه موحّد ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النص من الكتاب والسنة فإن خطر خاطر بآته آية
فائدة في اللوح والقلم فليقل له بأن أسرار حكمة الله عز وجل
عن العباد محجوبة إلا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس
إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عز وجل يحيو الله ما
يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب واعلم ان الكلام في هذا
الفصل مع من يؤمن بالله وملائكته وكُتِبَ ورُسِلَ لأن هذا
سبيله سبيل الخير والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبة قد
تلقوه بالقبول وقد قال قائل أن الله تبارك وتعالى لما أراد
ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم
به في اللوح وروى فيه اخبار مسطرة في كُتِبَ أهل الحديث
رضينا بما صحّ منها واستسلمنا له وجاء في ذلك القلم أن طوله
ما بين السماء والأرض وأنه خلق من نور وفي صفة اللوح
أنه لوح محفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب معقود بالعرش يصبك ما بين عيني اسرافيل
وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد الله تبارك وتعالى
ان يحدث في خلقه شيئاً قرع اللوح جهة اسرافيل فأطلع
فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يحيو الله ما يشاء

ويثبت وعنده أم الكتاب فيأمر به جبرئيل أو من يليه من
 الملائكة وأكثر أهل الدين على أن الباري لا يُسَمَّ كما أنه
 لا يُلمَس وإنما يُسَمَّ كلامه كما يلمَس خلقه هذا قول أهل
 الإسلام وقد ذهب قوم من المستترين بالدين إلى تأويلات
 مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقل لأنه
 دون الباري جلَّ وعزَّ في الرتبة وجرى بنفسه لأن العقل يدرك
 الأشياء بغير واسطة قال ومعنى اللوح المحفوظ النفس لأنه
 دون العقل في الرتبة يدبرها العقل كما جرى القلم في اللوح
 المحفوظ وزعم أن القلم واللوح غير محدثين ولا مخلوقين وقد
 دللنا على حدِّث العقل والنفس في الفصل الثاني بما يجري عليهما
 من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقل^١ والتجزؤ بتفرق
 الهياكل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة
 النفس إلى الغذاء والقوام ما فيه كفاية وبلاغ وذلك أن
 القديم الباري لا يجوز عليه شيء من هذه الموارد وزعم
 آخرون أن اللوح هو العالم السفلي والقلم العالم العلوي يؤثر في
 السفلي وبعضهم يزعم أن القلم هو الروح واللوح الجسد وأهون

^١ Ms. والقلة.

الأمر انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة
والسدخول في الإلحاد المحض حتى يقع الكلام معهم من حيث
ينبغي أن يقع لأن هذه الأشياء من شرائع الأنبياء عليهم السلام
فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يراد تأويلها إلى العقل
بل تسلم كما جاءت ، وفي رواية سميد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من دُرّة بيضاء
دفتاه ياقوتة حمراء ، قله نور وكلامه بر [٣١ ٧] ينظر الله
فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يُحيي بكل نظرة ويُميت بكل
نظرة ويرفع ويضع ويُعزّز ويُذلّ ويخلق ما يشاء ويحكم ما يريد
والله اعلم واحكم وقد دللنا لك أن كل ما كان من أمر
الآخرة قروحاني حيواني وإن شارك جسمانيًا في الأسماء فمن
ذلك قوله دُرّة بيضاء وياقوتة حمراء ،

ذكر العرش والكرسي وحملة العرش قال الله تبارك وتعالى
وترى الملائكة حافين من حول العرش وقال ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية فذكر العرش في غير موضع من كتابه
وقال وسع كرسية السموات والارض فلم يجوز وقوع الاختلاف
فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وإنما اختلفوا في

التأويل فقال بعضهم أنَّ العرش شبه السرير واستدلوا على
 قولهم بقوله أَيْكُمْ يَأْتِنِي بِعَرْشِهَا وقوله ورفع أبويه على العرش
 وكثير من أهل التشبيه يذهب إلى أنه كالسرير له وهو
 مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدلّ عليه
 قول أمية بن أبي الصلت

شدّ التطرّع على المطايا ربنا كلُّ بنعماء الإله مقبّد
 فاصحن^١ واقتدش الرحائل شرجع^٢ نفع على أبا جهن مؤصّد
 بفصوص ياقوت وكظّ برشه هول ونار^٣ دونه تتوقّد^٤
 فعلا طوالات القوائم فاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلص^٥

وقال أيضاً [خفيف]

مَجْدُوا اللَّهَ وَهُوَ الْمَجْدُ أَهْلُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
 ذَلِكَ الْمَنْشَى الْحِجَارَةُ وَالْمَوْ تَى وَأَحْيَاهُمْ وَصَكَانَ جَدِيرَا
 بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا سَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
 شَرْجَمًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ النَّا سَ تَرَى دُونَهُ الْمَلَانِكُ صُورَا

^١ كذا في الأصل : Note marginale :

^٢ Ms. يتوقّد.

[كامل]

وقال لبيد

لله نافلة الأجل الافضل وله العلى وليت كل مؤثلي
سرى فأغلق دون غرفة عرشه سبعا طباقا دون فرع المعقل

وقال كثير من المسلمين أن العرش شيء خلقه الله لنتهى علم
عباده وتعبد الملائكة بتعظيمه والطواف حوله ومسئته الحوائج
عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها
والصلوة^١ له اليها لا أن يكون ذلك مكانا له أو حاملا جلّ
وتبارك الباري ان يكون محمولا او محدودا او مُحاطا وبعضهم
يقول العرش الملك ويتأول قوله الرحمن على العرش استوى
قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

إذا ما بنو مروان ثلث عُروشهم وأردت كما أردت إمام وجنير

[٣١ ٣٢ ٣٣] وأما الكرسي فخلق مثل العرش وقد رُوينا عن الحسن
أنه قال الكرسي هو العرش وجاء في بعض الروايات أن
الكرسي بين يدي العرش كبدرة بأرض فلاة والسموات السبع-

^١ الصلاة. Ms.

والأرضون السبع وما فيها بمجنب الكرسي كحلقه من حلق
 الدرع في أرض فيحاء ومن المسلمين خلق كثير يذهبون إلى أن
الكرسي هو العلم واستدلوا بقوله تعالى وسع كرسيه السموات
 والأرض قالوا معناه أحاط علمه بها وبما فيها والكراسي العلماء
 وانشدوا بيتاً [طويل]

تَحَفُّ بهم بيض الوجوه وعُصْبَةٌ كراسي بالإحداث حين تَدُوب

وقد روى أصحاب الحديث أن الكرسي موضع القدمين
 والله أعلم بصدقته وتأويله إن صح لأن مذهبنا تسليم ما
 قُصِرَ عنه علماً ، وأما حملة العرش الملائكة خلِقوا لذلك
 فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما الله به عليم قالوا وهم
 اليوم اربعة وجه أحدهم على صورة وجه النسر والثاني كوجه
 الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجل فإذا
 كان يوم القيامة ضُمَّت إليهم أربعة أخرى بقول الله
 سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وفي رواية
 أبي اسحق أن رسول الله صلعم أنشد قول أمية بن أبي
 الصلت [كامل]

حبس السرافيل الصَّوافي ثَمَّتْهُ لا واهنٌ منهم ولا مُستَغْدُ
رَجُلٌ وثوْرٌ تحت رِجل يمينه والنسرُ للأخرى وليثُ مرصُدُ

فقال عليه السلام صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها
وقد يستدرج أهل الزيغ الانغمار من الاحداث بالأوّل والثاني
والثالث والرابع ينعون بالأوّل القلم وهو عندهم العقل وبالثاني
اللوحي وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك
المستقيم والضابط للأفلاك وبالرابع الكرسيّ وهو فلك البروج
عند بعضهم لأنّ المنجمين مختلفون في هذا التقسيم والملائكة
الذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشياء عندهم
لم يزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالأوّل والثاني والثالث
لأنّ كلّها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من
عارضهم من المشبهة بأنّ العرش ممهد والكرسيّ مُسْتَقَرّ القدمين
مع وفاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبُعده عن تأويل الزائعين
لأنّا لم نجد شيئاً في كتب المنجمين وأهل الطبائع بأنهم سمّوا
العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمائها المشهورة
عند سامعيها ونعوذ بالله من الخزلان والحرمان وسوء الاختيار
والعجز عن إتباع الحقّ،

في ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها، روى المسلمون أن الملائكة خلقت من نور وذكر ابن اسحق أن أهل الكتاب يزعمون أن الله خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد في معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرين بأن ملائكة الرحمة خلقوا من نور وملائكة العذاب خلقوا من نار ولا نعلم أحدا ممن يدين الله بدين إلا وهو مُقرّ بالملائكة وإن كانوا مختلفين في قديمها وحدوثها وهيئاتها فنه قول أمية بن أبي الصلت

[كامل]

يتنابذ المتنصفون بسجرة في ألف آفة من ملائكة يمشد
[٣٢ ٣٠] رسل يجرون السماء بأمره لا ينظرون ثراء من يتقصّد
فهم كأرب الریح بينا أدبرت رنجت بوادی وجهها لا تكرد
خذ مناكبهم على أكتافهم ذق يزق بهم إذا ما استجدوا
وإذا تلاميذ الإله تعاونوا غلبوا وتشطهم جناح معتد
نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا لا مبطى منهم ولا مستوغد

واختلف المسلمون في عدم البصر والحواس لهم فمن قائل أن

البصر يفقدهم^١ للطافة أجسامهم واجزائهم لا لون لها البصر لا يدرك إلا ذا لون وكذلك قالوا أليس نحس بها وهي معنا حَفْظَة علينا والهَوَاءُ أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنا لا نُحَسُّ به حَادِثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيين الذين هم أطف وأطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إياهم في كتابه بالفظلة والشدّة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جآ من عظيم صفاتهم وعُظم أجسامهم وإن الملك كان يأتي النبي صلعم وعلى آله في صورة الرجل وكذلك سائر الانبياء أنه غير منكر أن يحدث الله تعالى في الملك شيئاً ومعنى يرى ويُشاهد إذا أراد ذلك كما يحدث في الجو فيتربّب وينعقد غمامٌ من أجزاء الهباء لا يدركها البصر ثم ينحلّ ويتفرّق حتى لا يرى كما كان أولاً وكذلك حال الجنة والسيّاطين وسائر الروحانيين من الخلق وايضاً فإن الملك سُئِلَ هذا الاسم لدُؤوبه في الطاعة وانقياده لما يُراد منه تخصيصاً وتفضيلاً فغير بعيد أن يكون الملائكة أصنافاً روحانياً وجسمانياً ونامياً وجامداً وقد جآ في بعض الأخبار أن

^١ تتقدم Ms.

الرعد مَلَك والنار ملك والملائكة يسجدون جنودُ الله ورُسُلُه
 وسفَرآؤُه وأولياؤُه بقول الله عزَّ وجلَّ ولله جنود السموات
 والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود
 الله ألا ترى أنَّه لما بلغ معاوية أن الاشتَر قد أُمِر فسُقِيَ سَمًا
 في سَوِيْقٍ وعَسَل قال ما أُردها على الفؤاد إنَّ لله جنودًا
 من عسل وقيل الأرض ملك والسماء ملك حتى عدد أكثر
 أجسام العالم واحتجوا بقول الله عزَّ وجلَّ قالتا اتينا طائعين
 والقول هو الأول فإن كان جائزًا إطلاق اسم الملك على
 هذه الأشياء، فيكون مجازًا لا حقيقةً،

ذكر اختلاف الناس في الملائكة ما هي أما المسلمون وأهل
 الكتاب فيقولون هم خلق روحانيون كما ذكرناه آنفًا
 وكان مشركوا العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله وأنه
 صاهر الجن فولدت له قال الله تعالى وجعلوا الله شركاء الجن
 وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آتاءًا وقالت
 الحُرانيَّة الملائكة النجوم وهي المدبَّرات للعالم وهو أحدث
 الباطنيَّة فزعمت أنها سبعة واثنا عشرة وتأولت قوله عليها
 تسعة عشر والخُرُميَّة يُسمون رُسُلهم الذين يتردّدون فيما بينهم

ملائكة وأما المجوس فلا يُذكرون الملائكة وأنهم خلق
غائب عنهم ويسمونهم شتاسبندان في ملتهم الإقرار بهم
والتصديق وزعم قوم أن الملائكة هي النفوس الصافية وذلك
أن الإنسان إذا بالغ في الارتياض [٣٣ ٣٠] بمعرفة حقائق
الآشياء واجتهد في اقتناء الفضائل واختيار المحامد اتصل بالعالم
العلوي فصار عند مفارقة الهيكل عقلاً خالصاً ونفساً صافيةً
فيسمونه حينئذ الملك قالوا واقصى الدرجات في الأسفل
النبوة وهي تُنال بالعلم والعمل وفي الأعلى الملائكة وهي
ينالها من نال النبوة في الأسفل وزعمت فرقة أن الملائكة
أباض من الله واجزأه عندهم أنه تبارك وتعالى شيء بسيط
روحاني وسأهم أمة في شعره تلاميذ الله وأعوانه مع
مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب مما يُدرك بالعقل
ولكنه يُعرف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لرد ما سبيله
الخير إلى غير الخير،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدي أن النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ألا أحدثكم عن ملك
من ملائكة الله أذن لي ربي في الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إن لله ملكاً قد نفذ بقدمه الأرض السفلى ثم
خرج من هواء ما بين ذلك حتى أن هامته لتحت العرش
والذى نفس محمد بيده لو سُخِّرَت الطير فيما بين عنقه الى
شحمة أذنه لحففت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن
جُرَيْج عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي صلعم
قال لجبرئيل إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها
في السماء قال لا تقوى على ذلك قال بلى قال فأين
تُحب أن أتخيل لك قال في الابطح قال لا يسئني قال
بعرفات قال ذلك بالبحرى فواعده^١ ذلك وخرج النبي
صلّى الله عليه وعلى آله وسلم للوقت فاذا هو بجبرئيل قد اقبل
من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسد الخافقين
رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وله كذا ألف جناح ينتثر
منها التهاويل فلما رآه النبي صلعم خر مغشياً عليه فتحول جبرئيل
عن صورته الى صورة التي كان يأتيه فيها وهي صورة دُجّة
الكلبي وهو ابن خليفة بن فروة الكلبي فضمه الى صدره
فلما أفاق قال ما ظننت أن لله تعالى خلقاً يشبهك قال يا

^١ فواعده Ms.

محمد فكيف لو رأت اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه
 في تخوم الأرض السابعة وان العرش لعل كاهله وانه يتضال
 احياناً من مخافة الله تعالى حتى يصير كالصعوة وما يحمل عرش
 ربك إلا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان لله
 ملكاً البحار كآيا في ثقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
 ان لله ملكاً السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرجا
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه في صفة ملائكة العذاب
 قال ما منهم ملك ألا ولو أمره الله أن يلتقم السموات
 والأرض وما فيها من شئ. لهان ذلك عليه لما عظم الله من
 أجسامهم. وقد جاء في صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
 وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هؤلاء^١
 من الملائكة ما يعتقد المؤمن الإيمان به والتسليم له وجاء
 في صفة حملة العرش أنهم ملائكة قدر قَدَمُ أحدهم مسير
 سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون الوعول وقيل العرش
 على كواهلهم وقيل على مناصبهم ناشية في العرش والله أعلم
 وأحكم ، وروى ابو حذيفة عن مقاتل عن عطاء ان الله يبعث

١. هارولا. Ms.

جبرئيل كل يوم الى جنة عدن فيغس بجناحيه في نهرها ثم
يحى فينفضها [fo 33 v] فيسقط من كل جناح سبعون ألف قطرة
يخلق الله من كل قطرة ملكا قال وما يقطر من السماء الى
الأرض قطرة ألا ومعهما ملك ينزل الى الأرض ثم لا يعود اليها
قال وما في السموات موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو ساجد
أو راكم لم يرفع رأسه منذ خلق فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه
فيقول سبحانك ما عبدتك حق عبادتك قال ولله ملك
موكل بالبحار فاذا وضع قدمه في البحر مدّ واذا رفعها جزر
قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة وإسرافيل ملك
الصّور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ودؤى عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الرعد ملك
موكل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد
كلما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصمعه السحاب به وروى
ابن الأنباري في كتاب الزاهر ان السحاب ملك يتكلم بأحسن
الكلام ويكي ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر
بكاؤه وعن كعب لولا ان الله وكل بطعامكم وشرابكم في نومكم
ويقتلكم من يذب عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له معقبات

من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر [الله] وروى هشام
 ابن عمار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيد بن سلمة عن
 ابان عن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله
 ملكا له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه
 ألف فم في كل فم ألف لسان يُسَبِّح الله ويُقَدِّسه كلُّ
 لسان بألف لغة من التسبيح فهذا وما أشبهه موقوف على
 صحة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارى سبحانه
 وتعالى شئ وما عسى أن يقوله قائل وهو مُصدّق بابتداع
 الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقة فمن لم يعجز عن هذا
 فليس عن أعجب منه بماجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
 وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
 ما حُكي عنهم وقد قيل الريح ملك وقيل من نَفَسِ مَلَكٍ
 وأذْكُرُ أنى حاجنى رجل من البهافريرية^١ وهم صنف من
 المجوس أطلبهم للخير وآلفهم عن الاذى فى دفننا موتانا ما تعنيا
 بذلك فقال ان الأرض ملكٌ وانتم تلقمونه الموتى فكيف
 تستحسنون ذلك وقد يرى بعض الناس ان الشياطين كلَّ

^١ البهافريرية Ms.

شَرِيْرَ دَاعِرُ' وَالْمَلِكُ كُلُّ خَيْرٍ فَاضِلٌ وَمَذْهَبُ الدَّائِرِ مَا
حَكِيْمَاهُ وَوَصْفَنَاهُ،

الْقَوْلُ فِي الْمَلَانِكَةِ أَمْكَلْفُونَ أَمْ مَجْبُورُونَ وَهُمْ أَفْضَلُ أَمْ
صَالِحُو الْمُسْلِمِينَ قَالَ قَوْمٌ هُمْ مُضْطَرُونَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ مَجْبُورُونَ
عَلَيْهَا وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ يُسَبِّحُونَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ أَنْ التَّسْبِيْحَ لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ لَنَا
وَقَالَ آخَرُهُمْ مَكَلْفُونَ مَجْبُورُونَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ
وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ وَلَا يَصِحُّ
الْوَعْدُ عَلَى غَيْرِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ أَنَّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً قَالُوا اتَّجَمَلُ فِيهَا مِنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَدَلَّ هَذَا
الْقَوْلُ مِنْهُمْ عَلَى اخْتِيَارِهِمْ وَقَالَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ لَمَا كَانَ
يَمْدَحُهُمْ بِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ
مَدْحَ لَهُمْ عَلَى الْمَوَاضِبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ أَوْ لَا يَقْطَعُهُمْ عَنْهَا مَا يَقْطَعُ
النَّاسُ مِنَ الْحَوَائِجِ وَالْأَشْغَالِ وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

كَذَا فِي الْأَصْلِ. Ms. marg.

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [f° 34 r°] في سُرعة الموائاة
 والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه
 ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم
 على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزلة
 ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوة على الطاعة وتجديد الجِدَّة
 والنشاط في العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنة وليس
 الثواب ككله الطعام والمشرب لانهم ليسوا بذوى أجسام
 مجوّفة فيلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة
 وقد قيل أن ثوابهم ان يستجيب دعاؤهم في الموحدين وذلك
قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل
 شيء رحمةً وعلماً الآية فطاعتهم مذ خُلِقوا ان يستجاب في
 الموحدين ولهم مسئلة وتضرع وطاعتهم بعد ذلك بشكر
 وبعرف^١ واختلفوا في الملائكة وصالحى المؤمنين أيهم أفضل
 فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجوا
بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

^١ كذا في الأصل. Indication marg.

ولا اقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ألا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشراً إن
هذا إلا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤمرون وقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقوله
ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً فلما لم يُقَلْ على
من خلقنا علماً ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل
يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعزى عن معصيته
وكيف بفضيلة عمل من أقصى عمره مائة سنة وفضيلة من
عمره الأبد وذهب إلى أن صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
مشقة الطاعة مع منازعة الشهوة ومماناة الشيطان والعمل
بالغيب خوفاً وطمأناً وأنّى يقع طاعة من أضفى عن شوائب
الهوى وأخلص من مزاحمة^١ الشهوة وأمدّ بظل العصمة وحرس
من الوسوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
موكل به أعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وأنما يستحق

١ مزاج. Corr. marg.

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكذب والفساد والمشقة فيه قالوا
 وليس ينكر^١ ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
 أهل الإسلام حتى تكرمنا^٢ ما تلاه خصنا من الآيات وإنما
 تفضيلنا فاضلي المؤمنين وصالحهم وقد أسجدهم الله لصفته
آدم ءم فهلا كان ذلك على سبقه بالفضيلة وقال جل
وعز وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
 المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدم صالحى المؤمنين
 بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
 الإيمان بهم اكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال
 الله عز وجل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
 حوّل لبني آدم وحفظه عليهم وقد روى فى الحديث ان
 الملائكة سألو الجنة فقال الله سبحانه لا أجعل صالح
 من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورؤينا عن كعب
 أنه قال رغب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
 البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقله

^١ Ms. ينكر.

^٢ Ms. تكرمنا.

شهوته فهو خير [٣٠ 34 ١٩] من الملائكة ومن غلب شهوته
عقله فهو شرٌّ من البهائم واحتجَّ بعضُ المتأخرين بقول شاعر
يمدح ابن موسى الرضا ويقال هي لأبي نواس [خفيف]

قِيلَ لِي أَنْتَ أَوَحَدُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَقَالٍ مِنَ الْكَلَامِ النَّبِيُّ
لَكَ مِنْ جَيْدِ الْكَلَامِ نِظَامٌ يُجْتَنَى الدُّرُّ مِنْ يَدَيِ مُجْتَنِيهِ
فَلَمَّاذَا تَرَكْتَ مَدَنَ ابْنَ مُوسَى وَالْحَصَالَ الَّتِي يَجْمَعْنَ فِيهِ
قُلْتُ لَا أَهْتَدِي لِمَدَحِ إِمَامٍ كَانَ جِبْرِيلُ خَادِمًا لِأَيِّهِ

ذكر ما جاء في الحجب اعلم أن الحجاب لا يوجب حداً على
الارسل لأن الله محبوب عن خلقه ولا يطلق القول بأنه
محدود لأن الحجاب يحتمل وجوهاً من المعاني وروى وهب بن
أبي سلام سأل رسول الله صلعم هل احتجب الله بشيء عن
خلقه غير السموات فقال نعم بينه وبين الملائكة الذين
هم حملة العرش سبعون حجاباً من نور وسبعون حجاباً من نار
وسبعون حجاباً من ظلة حتى عدت خمسة عشر وفي حديث المراج
فانتهيت إلى بحر من بحر اخضر فتودى أن ارح محمداً في
النور رجا وذكر عدة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران
الحَرَافِي عن زُرّادة بن أوفى قال قال رسول الله صلعم
يا جبرئيل هل رأيت ربك قال يا محمد بيني وبينه سبعون
حجاباً من نور لو دَثُوتُ من أدناها لاحتَرَقْتُ وفي حديث أبي
موسى الأشعري لو أنكشفت سُبُحاتُ وجهه لاحترق ما عليها
من شيء، ويسير هذا كله ما روى عن الحسن أنه قال
ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين ربّ
العرّة سبع حجب من حجاب العزة وحجاب الجبروت والعظمة
وليست مما يوجب الحدّ في الاحتجاب لأنها ليست بأجسام
حاملة بين الحاجب والمحجوب ولكنّه يمتثل في بُعد وقوع
الحواس وقطع الاطّماع في الإحاطة به والاختصاص بالعظمة
والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العباد وتعظيم الباري
وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما
لا يُدرّكه حواسهم ولا يتصوّر في أوهامهم باطلاق لا شيء
ويدلّ على هذا التأويل ما روى في الخبر العظمة إزارى
والكبرياء ركابى^١ فمن نازعنيهما ألقَيْته في النار ولا أبالي فهل

^١ Ms. en marge ردائي.

يعرض لسامع شك في أن العظمة لا يترز بها والكبرياء لا يتردى
بها ولكن الوجه ما ذهبنا إليه واللّه اعلم ، وصفة الحُجب
موجودة في أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمد والنعماء والشكر ربنا فلا شيء أعلى منك حدًا وأمجّد
ملك على عرش السماء هيين لعزته تغتوا الوجوه وتسجد
فلا بشر يسو إليه بطرفه ودون حجاب النور خلق مؤيد

ذكر ما جاء في سدرة المنتهى وهي مذكورة في كتاب الله
عز وجل روى أنها على هيئة شجرة [٣٥٣] يمر الراكب في
ظل قنن منها ^١ سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقلال وورقها
كأذان الفيلة يأوى إليها أرواح الشهداء والصديقين في
صورة فراش من ذهب بقول الله عز وجل عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ ينشى السدره ما ينشى وقد ذكرها
حسن في شعره

مقام لدى سدرة المنتهى لأحمد لا شك للمرتضى

^١ كذا في الأصل Lacune; note marginale

وقوله تعالى عندها جنة المأوى يردُّ قول من يزعم أن السدره
الشجرة التي كان النبي صلعم [تحتها بحراء] اذ نزل عليه جبرئيل
بالوحي اللهم الا ان يشبهه بقوله [إن منبري هذا [نزع] عة
من نزع الجنة وقوله عم بين قبري ومنبري روضة من رياض
الجنة فيكون مذهباً وكذلك قوله عم الجنة تحت ظلال
السيف غير أن الاخذ بالنظاهر على القول الأول أعرف
وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وإنما سُميت سدره المنتهى
لأنها منتهى علم العلماء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبياء
ما وراءها إلا الله وحده وسمتُ بعض القرامطة يتأولها عليهم^١
بحراء محمد صلعم ما علمه وأفشاه السر إليه لما رأى فيه من
الامارات وتوسمه فيه فض الله أفواههم وخيب آمالهم،

ذكر الجنة والنار لا أعلم أحداً من أهل الأديان يُنكر
الجزء من الثواب والعقاب وان اختلفوا في صفته واسمه
ومكانه ووقته لأن في ابطال الجزء ابطال الأمر والنهي
والوعد والوعيد وإجاعة اهمال الخلق وارسالهم ويؤدى ذلك

^١ Addition marginale.

^٢ Lacune.

^٣ Note marginale كذا في الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة
مُعَلَّقة بأصل التوحيد وذلك أنه لما قامت الدلالة على
إثبات الباري جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجوز أن يكون
شئ من أفعاله غير حكمة وصواب فلمنا أن الحكيم لم
يمخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ولا سهواً ولم يأمرهم ولم
ينهمهم إلا للثواب الذى عرضهم له والعقاب الذى حذرهم
وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن ننظن به غير الحق فالجزاء
يوجب التوحيد وحبّه حجتة ثم لطابق أكثر أهل الارض
على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت العارضة يكشفها
حجة العقل واجتماع الخلق فأى عذر بعدها لمتخاف عنها أو
مائل الى ضدّها وان أحسّ من نفسه بنفرة فأولى به أن
يتم عقله دون عقل المؤمنين والأئم والأجيال فاما القول فى
أنيّة الجزاء وماهيّته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشئ يتبع فيه الاختيار
ولو شاء الله يمجزئ بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب
النعمة والاعتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة
أعظم من دوام البقاء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى
أكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس في الجنة والنار قرأت في شرائع
الحرانيّة أن الباري عز وجل وعد من أطاع نعيماً لا يزول
وأوعد من عصى العذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر
القدماء ومنهم من يزعم أن النفس الشريرة التي عاثت في هذا العالم
وأفسدت وأذت إذا فارقت هيكلها حُبست في الأثير وهي نار
في أعلى علو العالم والنفس الحَيِّرة التي استفادت الفضائل تعود
إلى عنصرها الأزلّي ومنهم من زعم أن الفاضل يعلو في العلو
والراذل يتسافل فيبقى في الظلمة والحمود وقد قال
ارسطاطاليس [٣٥ ٧٠] أن العلو الأعلى محلّ الخلود وأن السفلى
الأسفل محلّ الموت وعامة أهل الهند يُقرّون بالجزاء والذين
يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والغرق
يزعمون أن جوارى الجنة يخطّفنه قبل زهوق نفسه وأنما
أثبت هذا لأبين لك إقرارهم بالجنة في كفرهم وجهلهم
وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأن ذكر الجنة
والنار في غير موضع من كتابهم إلا أنهم مختلفون في صفاتها
بالجنة فتسمى بالعبرانيّة برديسا وبالعبريّة كنعاذن ويزعم طائفة

١ Ms. سفل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنه إذا كان يوم القيامة أظهرت جهنم من وادي^١ وأُحرِثت نارا في الوادي ونُصِب عليه جسر وأظهرت الجنة من ناحية بيت المقدس وأمر الخلق أن يسيرا عليه فمن كان منهم برئا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثما تهافت في النار وزعت فرقة منهم أن الجنة والنار يثنيان وذلك بعد ألف سنة من وقت أن صار الناس إليهما ثم يصير أهل الجنة ملائكة وأهل النار دميما وزعم آخرون أنهما لا يثنيان أبدا وأما المتناسخة وأتهم يرؤن الجزاء في النسخ والمسخ ويزعمون أن من استمر على طبع من طباع السباع والبهائم حول الى صورته عقوبة له ومن تعاطى الحق وكف عن الأذى وتجمل بالجميل حول في صورة ملك أو قائد أو رئيس وهذا مذهب كثير من القدماء، ومن المعطلة من لا يُنكر الجزاء في الدنيا بالفقر والفاقة والآلام والأحزان ما ارتكبه من قبيح والسعة في الدنيا والراحة والفرح واللذة جزاء ما عمله من جميل ويزعم السمنية من الهنود أن من كان قليل الخير

^١ Lacune remplacée dans le ms. par trois points و et note marginale كذا في الأصل.

يصير كاسف البال رث الهينة يأتي لأبواب فلا يتصدق عليه
ومن كان كثير الخير يصير مأكلاً عظيماً عزيزاً فمن أطعم الطعام
أصاب القوة لأنّ البدن تقوى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب
الجمال ومن أوقد في الظلم أصاب حُسن العيش لأنّ الصباح
يَطْرُدُ الظلمات،

ذكر اختلاف المسلمين في الجنة والنار اعلم أنّهم فيها على
ثلاث فرق فزعمت المعتزلة إلا أبا الهذيل وبشر بن المعتز أنّهما
لم يخلقاً بعدُ وأنّهما يخلقان يوم القيامة وَاِجَازُ النَّجَّارِ أَنْ يَكُونَا
خُلُقَتَا وَأَنْ لَمْ يَخْلُقَا بَعْدُ وَأَنَّهُمَا يَخْلُقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ
سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ أَنََّّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ مَفْرُوعٌ مِنْهُمَا وَاحْتَجَّجُوا بِآيٍ مِنَ
الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثٍ مِنَ السُّنَّةِ فَهَذَا قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
قَوْمِي يَعْلَمُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَجَنَّةٌ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُعَدَّ غَيْرُ
مَخْلُوقٍ وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ كَذَا وَكَذَا بِصِفَاتٍ
مَضْبُوتَةٍ فِي الْكُتُبِ وَقَالَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
وَقَالَ النَّارُ يَرْضُونَ عَلَيْهَا غَدَوًا وَعَشِيًّا وَقَالَ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ

انت وزوجك الجنة وقال مخالفوهم أن الجنة والنار ثواب
 وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقان إلا بعد وجود الأعمال
 الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنة مخلوقة فأين مكانها وهي
 لا تسعها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض
 وتأولوا كل ما في القرآن والسنة من ذكرهما على العدة
 المنتظرة وقد قال الله عز وجل ان الأبرار لفي نعيم وان
 الفجار لفي جحيم فأخبر عنهم وليسوا في الوقت قالوا وغير
 ممتنع على الله تعالى أن يخلق كل يوم جناتاً ويفنيها أو
 يبقياها^١ [٢٥ ٣٥ ٣٠] كما يشاء وان ينعم أرواح المطيعين في جنة
 يخلقها لهم أو في غير جنة ويمدب أرواح الظالمين في نار أو
 في غير نار وقالوا وقد سبقت عدته في افناء ما خلق وثوابه
 وعقابه غير فائزين أبداً فإن كنا موجودين فلا بُد من
 فنائها وذلك خلاف وعده فلا مبدل لكلماته قال خصمناؤهم
 ليست الجنة والنار ثواباً ولا عقاباً إنما هما مقر الثواب والعقاب
 فيهما يُثاب ويُعاقب والاستثناء قد تناولهما من الفناء والهلاك
 لقوله إلا ما شاء ربك ولحمكه عليهما بالسرمدية

^١ يبقياها Ms.

والأبدية وكما أنه وعد أن يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هؤلاء في مكان الجنة فقال بعضهم هي في الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بل هي في عالم لها ولله عوالم الخلق ما يشاء وقال بعضهم بل هي في السماء السابعة سقفا عرش الرحمن وروى خبراً وزعم بعضهم أنها مخلوقة ولا يُدْرَى أين هي وليس يجب أن يمكها الله في مكان كما أمسك العالم لا في مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُّفْلَى وروى فيه خبراً

ذكر صفة الجنة والنار أجمع ما في القرآن لوصفها قوله تعالى وفيها ما تشبه الانفس وثلث الأعين وانتم فيها خالدون وأجمع خبر فيها خبر أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبأية ما اطلعتم عليه قال ابو هريرة رضي الله عنه ومصدق هذا في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه حمزة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن محمد بن

الحنفية^١ أن النبي ﷺ قال حدثوا عن الجنة بما شتم قلن
تحدثوا عنها بشيء إلا وهي أشد منه فمن هاهنا استجاز من
استجاز صفة الجنة والنار بما لم يأت في الرواية لأن الوصف
وإن أفرط في الوصف لم يند مدى خاطر همته وغاية معرفته
لا بلغ كنه ما فيها ولا بعضه لأن نعم الله ونعمه فوق ما يُحصيه
المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبداً وقد سُئل رسول
الله ﷺ عن أهل الجنة فقال جُرْدٌ مُرْدٌ مكملون من أبناء ثلث
وثلاثين سنة هذا من طريق حماد بن سلمة عن علي بن مرید
عن المسيب عن أبي هريرة وفي رواية أخرى من أبناء ثلث
وثلاثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب ابراهيم
وطول آدم وصوت داود ولسان محمد صلى الله عليه وعليهم
اجمعين وقال أبو هريرة إن أهل الجنة ليزدادون جمالاً وحُسنًا
كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً وأنكر قوم من أهل
الكتاب الأكل والوطئ في الجنة وذلك أن منهم من
لا يرى البعث إلا للأرواح فكذبهم الله في القرآن بذكر
الطعام الحواري التي وصفها في الجنة وروى^٢ عن النبي ﷺ

^١ الحنفية Ms.

^٢ وروى Ms.

لما يذكر الجنة قال إن الرجل منهم يُعطى قوة ألف رجل في
الطعام والجماع قالوا وكيف المتري يا رسول الله قال دحماً
دحماً إذا قام عنها رجعت مطهرة بكرةً بذكر لا يمل وفرج
لا يمحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود من أكل ينوط فقال
النبي صلعم [٣٥ ٧] ولا يتغوطون وإنما هو عرق يفيض من
أعراضهم مثل البسك فتضمّر له بطونهم وسئل عن النوم
فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون وسئل
عن الولد قال فتنة وروى أنه قال لو أرادوا لكان حمله
ووضعه ونشوه في ساعة واحدة وسئل عن المرأة التي يكون لها
زوجان لمن تكون في الجنة ففي رواية حذيفة أنه قال
تكون لآخر زوجيها ولما خطب معاوية أم الدرداء قالت
لستُ أبنى بأبي الدرداء بديلاً سمعته يقول قال رسول الله
صلعم المرأة لآخر زوجيها ولذلك جُرم أزواج النبي صلى الله
عليه من بعده ليكن أزواجه في الجنة وروى عن الحسن أنه
قال تخير المرأة فتختار أحسنهما خلقاً وسئل ضمرة بن حبيب
أيدخل الجنة فقال نعم واستدل بقوله تعالى لم يطمئنّ انس

قلوبهم ولا جانَ فَلَائِسَ انسيات وللجنّ جنّيات وسئل ابو العالية
 عن اوقات الجنة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
 لا شمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم في نور أبداً وانما يعرفون
 مقادير الليل والنهار بارخاء الحُجب وفتح الابواب وسئل الحسن
 عن الحور العين فقال عجائزكم هولاء العُش الرُمَص وتلا
 انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكاراً الاية فقال ويمطون
 أزواجاً غيرهن من الحور العين وفي حديث ابن المبارك عن
 رشيد بن سعد عن ابن أنعم ان من دخل من نساء أهل الدنيا
 الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في دار الدنيا وهذه
 الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوام الأمة واستغنائها عن الأسانيد
 وسئل عن قوله عز وجل وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ
 الاعين فلو اشتهت ما يستقبحه العقول كالقتل والغصب
 والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأن هذا
 وما أشبهه مما لا يشتهون في الجنة لأنها ليس فيها كما
 لا يشتهون الموت والمرض والذل والفاقة لأنها ليست فيها
 فتحبس طباعهم عن التشوق إلى ما يستقبح في العقول وينسون

ذكرها واعلم هداك الله أن كل ما وصف به من ذهبها
وفضتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كآها
على الحقيقة في الاسماء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض
وثمارها بقول الله عز وجل وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو
كانوا يعلمون وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن أسامة بن
زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الجنة فقال نور يتلألأ
وحدثنا الحسن بن هشام العبسى عن وكيع عن الأعمش عن ابن
عباس رضى الله عنه قال ليس فى الجنة شىء مما فى الدنيا
إلا الاسماء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمع آية فى وصف النار قوله
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان
مرسلاً حدثوا عن النار بما شئتم فلن تحدثوا عنها بشىء إلا وهى
أشد منه والذي يوجب القياس الشديد أن يكون كل ما وصف
به النار من أغلالها وانكالها وحياتها وعقاربها وأوديتها ومقامها
وسائر ما ذكر فى القرآن والأخبار خلاف ما هو فى الدنيا
كما قلنا فى صفة الجنة وإن يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأن النار دار خلود كما أن الجنة دار
خلود [٢٠ ٣٧ ٢] وسئل ابراهيم النخعي عن صفة نار جهنم فقال
ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولقد ضرب بها
البحر مرتين ولولا ذلك لما انتفعت بها وسئل الحسن عن
النار فقال يصير البحر ناراً ثم تلا وإذا البحار سجرت فقال
يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليها من الجنوب ريحاً ويسلط
عليها الشمس حتى يسجرها فتصير^١ ناراً فجعلها الله محبساً لأهل
المعاصي وزعم قوم أن النار مخلوقة اليوم وأنها تحت تخوم
الأرضين السفلى والبحار هي الحاجزة عن الخلق وأن حرارة
الشمس وحى الصيف مؤخرها^٢ ورووا أن النار اشتكت فقالت
أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الصيف
ونفس في الشتاء وأراك أشد ما يكون في الحر والبرد وفي
الصباح من الحديث ابردوا بالظهر فإن في شدة الحر من فيج
جهنم واستعظم قوم بقاء ذى روح في النار وذلك لقصور
علمهم لأن النار ضروب كالأثير الذي يزعمون في علو الهواء

١ فيصير Ms.

٢ مؤخرها Ms.

وكالنار الكامنة في الحجر والشجر وقد سُئل ابن عباس رضى
الله عنه فيما رواوا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
وهي ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهي النار في
الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر ونار تأكل
ولا تشرب وهي نار جهنم تأكل لحومهم ولا تشرب دمآهم
فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أن نار جهنم خلاف النيران
التي ذكرها بقول الله تعالى كلما فضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها فأخبر سبحانه أنه يُبدل لهم الجلود لتبقى لهم
الأرواح لا تأتي عليهم النار فيُفنيهم وقد أَرأنا الله من قدرته
فيما ركب عليه طباع بعض الحيوانات ما دَلَّنا به على جواز بقا
ذی روح بالخلل كالنمل التي تأكل النار ولا يضرها والطنائر
الذي يدخل النار فلا تُحرقه وما أراه جعل ذلك إلا عبرة
فدَلَّنا على جواز بقا الحياة في أهل النار وآلا فما جاز في طباع
الحيوان الاعتداء بالنار والحديدة المَحْمَاة وجاء في صفة أهل
النار بالعجب الفظيع فمن ذلك ما روى أنه سُئل أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يَنُغْلِلْ يُأْتِ بِمَا غَلَّ
يوم القيامة وكيف يأتي من غل مائة بئر ومائتي شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحد وفخذه مثل ورقان وساقه
مثل البيضا ومجاسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن
أنس قال مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون
ذراعاً وبطنه لو وُضع فيه جبل لوسعه وأنه ليكي حتى يصير
في وجهه أخاديد من الدمع لو طُرح فيها السفن لجرّت كذا
الرواية والله أعلم ، وأعلم أن كلّ ما يُوصف من الجنة والنار
فبيله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذي هو
الجزء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكراً
لأصل حتى يُقرّ به ،

ذكر اختلاف الناس في بقاء الجنة والنار وفنائهما قرأت في
شرائع الحراتين أن للعالم علة لم يزل وأنه واحد لم يتكثر
ولا يلحقه وصف شيء من المعلومات كلف أهل التمييز الإقرار
بربوبيته وبث الرسل للدلالة وتثبيت الحجة فوعدوا من
أطاع نهيًا لا يزول وأوعدوا من عصى عذابًا بقدر استحقاقه
ثم ينقطع وقال بعض أوائله أنه يعذب سبعة [٣٧٧] آلاف
دور ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على
كثرة اختلافها يجمعها نخلتان السنية المطلية والبراهمة الموحدة

وكلهم مُقَرَّونَ بِالْجَزَاءِ وَأَنَّ الْعَذَابَ سَيَنْقُطُ يَوْمًا وَالسُّمْنِيَّةُ تَقُولُ
 إِنَّ الثَّوَابَ وَالْبَقَابَ مَوْجُودَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ بِالْحَوَاسِّ جَزَاءَ مَا
 اكْتَسَبَتْهُ النُّفُوسُ بَاقِيَةٌ خَالِدَةٌ فَاعِلَةٌ وَفَعَلُهَا الْإِيجَادُ بِالْأَجْسَادِ
 وَأَنَّهُ لَا يُزَالُ سَاكِنَةُ الْأَبْدَانِ فَإِذَا فَارَقَتْ جَسَدًا لَمْ تُعَذِّ
 فِيهِ أَبَدًا وَأَنَّهُ تَتَنَاسَخُ عَلَى فَعَالِهَا لِأَنَّهُ أَمْرًا إِلَّا عَلَى قَدَرِ هَوَاهَا
 وَهَمَّتْهَا فَإِذَا اجْتَرَحَتْ السَّيِّئَاتِ أَثَرَتْ تِلْكَ الْأَفْعَالُ فِي
 جَوْهَرِهَا وَصَارَ غَرَضًا لِأَنَّهُ لَهَا فَإِذَا فَارَقَتْ الْجَسَدَ ذَهَبَتْ
 بِذَلِكَ التَّأثيرِ إِلَى الْجَنَسِ الَّذِي لَا يَلَامُ هَمَّتْهَا فَتَلَابَسَهُ فَيَصِيرُ
 بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْمَكْرُوهِ وَهُوَ التَّنَاسُخُ فِي أَجْسَادِ الْحَيَوَانِ
 كُلِّهِ مِنَ الْهُوَامِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْثَامِ وَالطَّيْرِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَالُوا
 وَأَشَدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا حُوِّلَتْ فِي جَسَدِ حَيَوَانٍ تَحْتَ الْأَرْضِ
 حَيْثُ لَا مَاءٌ وَلَا مَعْمُورَةٌ وَيَطُولُ عَذَابُهَا بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْحَرِّ
 وَالْبَرْدِ ثُمَّ تُجَبَّوْنَ إِلَى جَهَنَّمَ وَعَذَابُهَا وَذَلِكَ نَهَايَةُ الْعَذَابِ وَأُخْرَاهُ
 ثُمَّ يَعُودُ مِنْ جَهَنَّمَ الْقَهْقَرَى إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِلْعَمَلِ قَالُوا وَأَتَى
 عَمِلَتِ الصَّالِحَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْفَاضِلَةِ بِالضَّدِّ مِمَّا وَصَفْنَا فَيَلَابَسُ
 الْجَمَالَ وَالْبِكْمَالَ وَالصَّحَّةَ وَالْأَمْنَ وَالْقُوَّةَ وَالْإِنْسَ وَالنَّشَاطَ

والمُلك والمزّ وطيب النفس ويصير آخر ذلك كله الى الجنة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثم يرجع الى الدنيا للعمل قالوا والجنة اثنتان وثلثون مرتبة ويمكث أهلها في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاث وثلاثين ألف سنة وستمائة وعشرين سنة وكل مرتبة أضاف ما دونها بحساب يطول عدده قالوا والنار اثنتان وثلثون مرتبة ثم وصفوها بتجانب الصفات من الحريق والزهرير وزعموا أن من قتل شيئاً من الحيوان دون الناس قُتل به مائة مرة ومرة ومن قتل إنساناً قُتل به ألف مرة ومرة قالوا وليس عُصْرُ من الأعضاء قبيح او سمج خلقته إلا وقد أتى صاحبه بذلك العُصْرُ داهية من الدواهي هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر في سائر الأمم وليس من أمة من الأمم إلا وهي مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إما التناسخ وإما الذخر في الآخرة وأجمعوا أن العذاب بقدر الاستحقاق ثم ينقطع وزعم كثير من اليهود أنه إذا أتى على الجنة والنار ألف سنة بعد ما صار اليهما أهلها فنيّتا وتطَلّتا وصار أهل الجنة ملائكة وأهل النار رميماً واحتجّوا بقول الانبياء الاثنى عشر

أنه مكتوب في سفر يهوشوع^١ أن الله يقول إن تمسكت
أمرى وأتممت ميثاقى أعطيتك موضعاً وسطاً هولاء الواقفين
قدامى وقال فى أهل النار يصيرون رمياً تحت أرجل معاشر
أهل الجنة وسمعت رجلاً من يهود عليهم اللعنة يزعمون أن
منهم من يقول أن العالم ينقضى فى كل ستة ألف سنة
ويجدد وأن يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنة ويوم
الأحد يوم الابتداء والله اعلم بما قال وكثير منهم يقول
بقاء الجنة والنار على الأبد ويحتجون بقول شعيا فى سفره أن
أهل الجنة يخرجون ويرون أجساد الذين عصوني لا يموت
أرواحهم ولا تتمد نارههم والمجوس يزعم أن السى^٢ يجازى
بقدر استحقاقه بعد موته [٣٨ ٣] بثلاثة أيام كفاء ما فعل
سواء لا زيادة ولا نقصان ومنهم من يزعم أن الجنة والنار فى
الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر،

ذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل زعمت طائفة منهم
أنه لا بد من فناء النار وانقضائها يوماً ما رَوَوْا فيه روايات
فرووا عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يأتى على جهنم

^١ يهوشوع Ms.

زمان تخفق^١ أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقاباً
 وعن الشعبي جهنم أسرع الذارين خراباً وعن عمر رضى الله
 عنه وأرضاه لو لبث أهل النار في عدد رمل عالج لكان لهم
 يرجون واحتجوا بأشياء من باب التعديل ولم يختلفوا في بقاء
 الجنة على الأبد وقالوا آخرون أنها مؤبدتان دائمتان لا تفنيان
 ولا تزولان واحتجوا بأنه لم يكن نعم الله انتهاءً وجب أن
 لا يكون لنعمه انقضاء ورووا عن الأوزاعي أنه ذكر هذه
 الروايات التي احتج بها الأولون وقال قبل كان الناس يرجون
 لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
 والارض إلا ما شاء ربك وقوله لا يئس فيها أحقاباً فلما نزلت
 في المائدة وهي آخر ما نزل في القرآن يريدون أن يخرجوا
 من النار وما هم بمخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا أنها
 لا تفنى ابداً فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل أن
 يعاقب على جرم منقضٍ بعقوبة غير منقضية قيل هو الجزاء
 على السوء وكما أنه لم تقصر مدة عمره على الكفر في دار
 الدنيا وجب أن لا يقصر عنه العذاب مدة عمره في الآخرة

^١ يحنق Ms.

وأيضاً فإنَّ نعمة ما لم تكن مهية وجب ان لا يكون نعمة
 منتية وقد كانت العرب في جاهليتها تؤمن بالحزاء ومن نظر
 منهم في الكتب كان مُقرأً بالجنة والنار فنه قول أُمّية [وافر]

جهنم تلك لا تبقي بقياً وعدن لا يطالها رجم^١
 إذا جهنم ثم قارث وأعرض عن قوايسها الجحيم
 يجب بصندل صم صلاب^٢ كأن الصاحيات لها قضيم^٣
 فتمسوا ما ينيها ضواء ولا يحبر فيبردها السوم
 فهم يطفون كالأقذار فيها^٤ لنن^٥ لم يغفر الرب الرحيم
 بدانية من الآفات نزه برآ لا يرى فيه سقم
 سواعدُها تحلب لا تصرى بها الأيدي محللة تحوم
 يفيض حلابها من غير ضرع ولا تبشم ولا فيها جزوم
 فيحرم عنهم وكلّ عرق عيج^٦ لا احذ ولا يتيم^٧
 فذا عسل وذا لبن وخمر رقيق في منابته صريم
 ونخل ساقط الاكتاف عد خلال أصوله رطب قيم
 وتفتح ورمان وموز وما بارد عذب سليم

^١ Ms. رحيم.

^٢ Ms. قضيم.

^٣ Ms. لين.

^٤ Ms. عيج.

^٥ Ms. ييم.

وفيها لحم شاهدة ونحر^١ وما ساء لهم فيها مقيم
 وحور لا يرين الشمس فيها على صور الدمي فيها سُهوم
 نواعم في الأرائك قاصرات فهن عتائل وهن قروم
 على سُرى ترى متقابلات . الأثم النظارة والنعم
 عليهم سندس وجناب رطب وديباج يرى فيها فيوم
 وحُلوا من أساور من لُجين ومن ذهب وعجدة كريم
 ولا لغو ولا تأثيم فيها ولا غول ولا فيها مُلم
 وكأس لا يصدع شاربها يلد بحسن رويتها النديم
 يصقوا^٢ في صحاف من لجن ومن ذهب مبادكة رذوم
 إذا بلغوا التي اجرؤا اليها تقبلهم وحلل من يصوم
 وخفقت البدور وأردفتهم فضول الله وانتهت القُوم

[٣٨ ٣٠] اعلم أن هذه الاشياء مما جاءت به الرواية والخبر
 فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفریق
 والمسلمون لا يختلفون في أساميها وإنما الخلاف في معانيها
 فإما الصراط فقد جاء في الحديث أنه يُنصب جسر على ظهر

^١ Ms. بحر.

^٢ Ms. صفو.

جهنم ويُحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنة جازه ومن
كان من أهل النار تهافت فيها وقيل في صفتة أنه أخذ من
السيف وأدق من الشعرة دحض^١ مزاة وفيه كلاليب
وخطاطيف وسندان مضرسة وحسك مُفلطحة مُسيرة كذا سنة
صعودًا وهكذا هبوطًا وكذا وطأ والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من
يمر كالطير الهادي ومنهم من يمر كالجواد المضمر ومنهم من يمر عدوًا
ومنهم من يمر هرولةً ومنهم من يمشى مشيًا ومنهم من يزحف
زحفًا ومنهم من يحبو حبوًا ومنهم من يُحتضنه بكشحه وصدده
والزأون والزالات^٢ كثير وقد أُجيب من يزعم أي ظلم أعظم
من حمل الناس على ما هذه صورته أنه جعل تمييزًا بين
أهل الطاعة وأهل المصيبة وعلامة للحق على هلاك من هلك
ونجاة من نجا وقد جاء في بعض الأخبار أن أهل الطاعة
يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوي تحت أقدامهم كما
ينزوي الجلدة من النار فاذا استقرّوا في الجنة قالوا ما بالنا
لم نحز الصراط ولم نرد النار التي وعدنا فيقال أنكم جُزتم الصراط

^١ دحض. Ms.

^٢ الزالون والزالات. Ms.

فى الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهى خامدة ومن هاهنا ذهب من
 ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلف من مثنى الطاعة
 ومجاهدة النفس فيما ينزع اليه وعلى هذا فسر بعضهم فلا اقتحم
 العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقة الآية وأما المعتزلة
 وأهل النظر فإتّهم يذهبون إلى أن الصراط هو الدين الذى
 أمر الله بلزومه والتمسك به وكان أبو الهذيل من بينهم يميز
 ما جاء فى الخبر كما جاء ويحتج بما ذكرناه بدءاً وأما
 الميزان فروى كثير من المسلمين أنه خلق على هيئة الميزان التى
 يعطاه الناس بينهم فى معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال
 العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفى كتاب وهب عن ابن
 عباس أن له كفتين وعموداً كل كفة طباق الأرض احدهما
 من ظلة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب
 وهو معلق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسد فلان
 والأشقى فلان فإن صحت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه فى
 الصراط أنه جعل مميّزاً فارقاً وهو قول أبى الهذيل يجوز
 أن يُصبّ ميزان يجعل رجحانه علامة لمن نجح وخفّته

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمة ان
الميزان مثل لتسوية الجزاء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد
والضحاك الشعبي واحتجوا بقول الناس للرجل الأمين العدل
ما هو إلا كالميزان المستقيم ألا ترى الى ما يروى به عمر بن عبد
العزیز رحمه الله [بسيط]

قد غيب^١ الدافنون التراب اذ دفنوا بندير سحمان قسطان الموازين

وانشد الفراء بيتاً [كامل]

قد كنت قبل لقائكم دامية عندى لكل مناصم ميزان

[٣٩ ٣٩] ويسمى الحجة ميزاناً والله اعلم واحكم وختلفوا في
الموزون فقال قوم يؤزن عين الأعمال فتخف السيئة لأنه
يأتيا الإنسان بمخفة ونشاط وتثقل الحسنة لأنه يأتيا ببناء
وكلفة وقالت طائفة بل يؤزن صُحف الأعمال وهو قول ابن
عباس رضى الله عنه ويضد رواية عبد الله بن عمر عن
النبي صلعم يؤتى رجل يوم القيامة ويؤتى بتسعة وتسعين سجلاً

^١ Ms. عب, corrigé d'après le vers de Férâzdaq cité par Mas-
'oùdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلَّ سَجَلٍ مَدُّ البَصْرِ فِيهَا ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ ثُمَّ
يُخْرَجُ لَهُ قَرطاسٌ مِثْلُ وَاشِدٍ بِطَرَفٍ سَبَابَتُهُ عَلَى بَعْضِ
إِبْهَامِهِ فِيهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ
الْأُخْرَى فَيَرْجَعُ بِهِ وَقَالَ قَوْمٌ يُوْزَنُ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ وَذَلِكَ
أَنَّ اللَّهَ يُظْهِرُهُ فِي صُورَةٍ وَيُحَدِّثُ عِنْدَ الْوِزْنِ ثِقَلًا فِي الطَّاعَةِ
وَخِفَّةً فِي الْمَعْصِيَةِ وَكُلَّ مَا حَكَى وَرَوَى مِمَّا كَانَ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَأَحْكَمُ وَأَمَّا الْأَعْرَافُ فَذَكَرَ أَنَّهُ كَسُورٌ بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يُوقَفُ عَلَيْهَا قَوْمٌ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ
خَلْقِهِ مَعَ اخْتِلَافٍ كَثِيرٍ فِي مَنْ يَقَامُ عَلَيْهِ وَيَدَّلُ عَلَى أَنَّهُ
مِنَ الْجَنَّةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَعَلَا وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ^١ وَفِيهِ يَقُولُ
أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ

وآخرون على الاعراف قد طمعوا بمجنة حنَّ الرِّمَّانِ والحَصَرُ
منهم رجالٌ على الرحمن رزقهم مكفر عنهم^٢ الاخبث والوَزَرُ

وَأَمَّا الصُّورُ فَإِنَّ الرُّوَاةَ مُخْتَلِفَةً فِيهِ فَرَوَى أَنَّهُ كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ

^١ رِيبِكُمْ Ms.

^٢ عنه Ms.

يُجمع فيه الأرواح ثم يُنفخ منه في الأجساد عند البعث وقال
قوم يخلق الصور يوم القيامة وتأولوا قوله وهو الذى خلق
 السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قال يقول
 للسموات كونى صوراً يُنفخ فيه وقال بعضهم الصور جمع الصورة
 وإن صح الخبر كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه وحنا
 جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول به وأما
 الحوض جاء في الحديث بروايات مختلفة وقال كثير من
 أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبي صلعم وروى ما بين
 جنبى حوضى كما بين صنمآء وإله وآيته في عدد نجوم السماء
 ماءه أحلى من العسل وأرد من الثلج وأشدّ بياضاً من اللبن
 من شرب منه شربة لا يظأ بعدها أبداً وقال قوم في تأويل
 الحوض انه عمله ودينه وطريقته والله أعلم.

• واسته Ms. •

تم الجزء الأول

فهرس الجزء الاول من كتاب البدء والتاريخ

| العنوان | الصفحة |
|--------------------------------------|--------|
| كلمة المؤلف فى بيان علة تأليف الكتاب | ٨-١ |
| ذكر فصول الكتاب وفهرسها على التفصيل | ١٧-٨ |

الفصل الاول فى تثبيت . سنن وبهذيب الجدول

| | |
|-------|---|
| ٢٠-١٩ | تعريف العلم وطريق حصوله |
| ٢٣-٢٠ | كمية العلوم ومراتبها وبيان حقائقها |
| ٢٧-٢٣ | تعريف العقل وما قاله أرسطو وبعض الفلاسفة فى ذلك |
| ٢٨-٢٧ | القول فى الحسن والمحسوس |
| ٢٩-٢٨ | درجات العلوم وتقسيمها الى واجب وسالب وممكن |
| ٣٠-٢٩ | تحقيق فى معنى الحد وما قاله بعض الحكماء فى ذلك |
| ٣١-٣٠ | تحقيق فى معنى الدليل وما قيل فى ذلك |
| ٣٢-٣١ | تحقيق فى معنى العلة |
| ٣٣-٣٢ | تحقيق فى معنى المعارضة وما قيل فى ذلك وبيان اقسامها |
| ٣٤ | تحقيق فى معنى القياس وما قيل فى ذلك |
| ٣٥-٣٤ | تحقيق فى معنى الاجتهاد والنظر |
| ٣٥ | الفرق بين الدليل والعلة |
| ٣٦ | القول فى الدليل |
| ٣٩-٣٧ | القول فى الحدود وبيان حقيقة الشئ والجسم والجوهر |
| ٤١-٣٩ | بيان الاقوال فى الجزء الذى لا يتجزأ |

| | |
|-------|--|
| ٤١ | بيان حدّ الزمان وما قاله أفلاطون في ذلك |
| ٤٢ | بيان حد المكان وما قيل في الخلاء والفضاء |
| ٤٣ | بيان حد الاسم والوصف والقول والمعنى والحركة والجنس والسو |
| ٤٤ | القول في الاضداد |
| ٤٤-٤٨ | القول في حدث الاعراض وبسط الكلام في ذلك |
| ٤٨-٤٩ | السوفسطائية والردّ عليهم |
| ٤٩-٥٠ | في الرد على من يبطل النظر ومن يدعى ان لادليل على النافي |
| ٥٠-٥١ | مراتب النظر وحدوده |
| ٥١-٥٣ | بسط كلام في علامات الانقطاع عن الحجة |
| ٥٣-٥٥ | السكوت بعد استقرار الحق ابلغ من الكلام في الذب عنه |

الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيده بالدلائل القطعية

| | |
|-------|---|
| ٥٦ | الادلة على اثبات الله عز وجل غير متناهية |
| ٥٧-٥٨ | من الادلة أن الامم المحموده غير مختلفين في وجود آثار الصانع |
| ٥٩-٦٠ | ومنها أن الناس ولهون فزعون اليه تعالى في المكاه والشدائد |
| ٦٠-٦٤ | ومنها ان الناس في اقطار الارض يسمونه تعالى بخواص من أسمائه |
| ٦٤ | ومنها وجود العالم والنظام الواقع فيه |
| ٦٥ | ومنها التفاضل الواقع في الموجودات من الانسان والحيوان والنبات والجماد |
| | الفكرة في جميع الموجودات حتى الصغيرة منها تهدي الانسان |
| ٦٥-٦٧ | الى الصانع عز وجل |
| ٦٨ | ذكر أمثال لتقريب الذهن في اثبات الصانع |
| ٧٠ | الرد على من يقول أن العالم من فعل الطبائع |

| العنوان | الصفحة |
|--|--------|
| حدوث الشيء دليل على كونه مصنوعاً ومخلوقاً | ٧١ |
| ما نقل عن بعض الحكماء في اثبات الصانع | ٧١ |
| ومن الدلائل فسخ العزم ونقض الهمة | ٧٢ |
| ذكر آيات من القرآن في هذا الباب | ٧٢-٧٤ |
| ذكر حديث بليغ في هذا الباب | ٧٤ |
| شعراء الجاهلية يشيرون إلى الله تعالى في أشعارهم مع كفرهم به | ٧٥-٧٨ |
| التفتيش عن ذاته تعالى محال | ٧٨ |
| ما قاله رسول الله (ص) لسائل سأله عن كيفية الله تعالى وهويته | ٧٩ |
| ماروى عن رسول الله (ص) في أن الشيطان يدعو الانسان إلى السؤال | |
| عن ماهيته تعالى | ٨٠ |
| جميع الناس مقرّون بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر | ٨٠ |
| ليس كل ما يدرك يوصف | ٨١ |
| الله تعالى ليس كالنفس أو العقل | ٨٢-٨٣ |
| هوية الله تعالى لا يدرك و اوصافه عين ذاته | ٨٣-٨٤ |
| نقل كلام بعض المتكلمين في ماهيته تعالى ومنع الخوض في ذلك | ٨٤-٨٦ |
| في اثبات التوحيد | ٨٦-٨٨ |
| بيان قول المجوس بآله الخير والشر واختلافهم في قدم الشرير | |
| وحدوثه و وهن عقيدتهم | ٨٨-٩٠ |
| ما قاله الثنوية في ذلك وبيان فساد عقيدتهم | ٩٠-٩١ |
| إفحام جعفر بن حرب الثنوية | ٩١-٩٢ |
| القول بإبطال التشبيه | ٩٣-٩٤ |

الفصل الثالث في صفاته وأسمائه

- ٩٥ اوصاف الله تعالى على قسمين : صفات الذات وصفات الفعل
- ٩٦ نقل اقوال المتكلمين في ذلك
- ٩٧-٩٩ ما قاله المعتزلة في صفات الذات والرد عليهم
- ٩٩-١٠٣ القول في أساميهِ تعالى وما قاله المتكلمون في ذلك
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في تناهي ذاته وعدمه
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في كلامه وارايدته تعالى
- في أنه تعالى محيط بكل مكان ونقل بعض الاقوال المزيّفة في أنه
- على المكان - وسبحانه عما يفكرون -
- ١٠٤
- ١٠٤-١٠٦ في علمه تعالى وما قاله بعض الناس في ذلك والرد عليهم
- ١٠٦ الكلام في قدرته تعالى على المحال
- ١٠٧ الكلام في انه تعالى هل يقدر على الجور أم لا
- ١٠٧ الكلام في أن قدرته تعالى هل هي علمه أو غيره
- ١٠٧-١٠٨ كلام موجز في الجبر والاختيار وخير الامور

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة و ايجاب النبوة

- ١٠٩-١١٠ نقل كلام البراهمة في انكار الرسل والرد عليهم
- ١١٠-١١١ كلام في رد من يقول لم لم يجعل الله كل أحد نبياً ؟
- ١١٢ كلام آخر في ايجاب النبوة ولزوم المعجزة للنبي
- ١١٣ كيفية الوحي والرسالة
- ١١٣-١١٤ كلام في كيفية القول والفعل من الله تعالى

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق

| | |
|---------|--|
| ١١٥-١١٦ | ما هي حكمة الخلقة وعلتها ؟ |
| ١١٦-١٢٣ | بسط كلام في رد المعطلة القائلين بقديم العالم |
| ١٢٣-١٢٩ | ذكر بعض الأدلة في حدوث العالم |
| ١٢٩-١٣٥ | إثبات الحدوث وردّ الاشكالات الواردة في ذلك |
| | ما حكاة افلو طرخس من اقاويل الفلاسفة في ابتداء الخلق ومبدء |
| ١٣٥-١٤٠ | الموجودات |
| ١٤٠ | ما زعمه ايوب الرهاوي في المقام |
| ١٤٠-١٤٢ | ما حكاة بعض أهل الاسلام عن الفلاسفة في هذا المقام |
| ١٤٢-١٤٤ | ما قاله الثنوية والحرانية في ذلك |
| ١٤٥-١٤٦ | مقالة اليهود والنصارى في ابتداء الخلق |
| ١٤٦-١٥١ | ذكر مقال أهل الاسلام وبعض الروايات في بدء الخلق |
| | البحث والتنقيير فيما قاله الملل المختلفة في ذلك و تصويب |
| ١٥١-١٥٦ | ارجح المذاهب |
| ١٥٦-١٦٠ | ذكر اول ما خلق في العالم العلوي والسفلي وفذلكة البحث |

الفصل السادس ذكر اللوح والقلم والكرسي والملائكة

والصور والصراط والميزان والحوض وسائر ما يعد

من امور الآخرة

| | |
|---------|--|
| ١٦٠-١٦٣ | ذكر ما قاله اكثر المفسرين في اللوح والقلم والمحور والاثبات |
| ١٦٣-١٦٤ | ما قاله بعض المتفلسفين في ذلك وذكر رواية ابن عباس |

| العنوان | الصفحة |
|---|---------|
| ذكر العرش والمراد منه | ١٦٦-١٦٤ |
| ذكر الكرسي والمراد منه | ١٦٦ |
| ما قيل في حملة العرش | ١٦٨-١٦٧ |
| ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها | ١٧٢-١٦٩ |
| ذكر بعض الروايات في صفات الملائكة | ١٧٧-١٧٢ |
| هل الملائكة مكلفون أم مجبورون ؟ | ١٧٨-١٧٧ |
| هل الملائكة أفضل أم صالحوا لمسلمين | ١٨١-١٧٨ |
| ذكر ما جاء في الحجب | ١٨٣-١٨١ |
| ذكر ما جاء في سدة المنتهى | ١٨٤-١٨٣ |
| لزوم الجزاء لأعمال العباد | ١٨٥-١٨٤ |
| ذكر اختلاف الملل المختلفة في الجنة والنار وبيان بعض أقوالهم | ١٨٨-١٨٦ |
| ذكر اختلاف المسلمين في ذلك وبيان آرائهم | ١٩٠-١٨٨ |
| بعض الآيات والروايات الواردة في صفة الجنة وأهلها | ١٩٤-١٩٠ |
| بعض الآيات والروايات الواردة في صفة النار وأهلها | ١٩٧-١٩٤ |
| ذكر اختلاف الملل المختلفة في بقاء الجنة والنار وفنائهما | ١٩٧ |
| ما يقوله السمنية من اليهود في التناسخ | ١٩٩-١٩٨ |
| ما زعمه اليهود في فناء الجنة والنار وبقائهما | ٢٠٠-١٩٩ |
| ذكر اختلاف المسلمين في هذا الفصل | ٢٠٢-٢٠٠ |
| كانت العرب في الجاهلية تؤمن بالجزاء | ٢٠٢ |
| كلام في الصراط ومرور الناس عليه | ٢٠٣-٢٠٠ |
| ما روى في الميزان والمراد منه | ٢٠٧-٢٠٥ |
| الاعراف والصور والحوض | ٢٠٨-٢٠٧ |